(٦) من كنوز ابن عطاء الله السكندري

كتاب

تاج العروس وأنس النفوس

تأليف
الإمام الربّاني
سيّدي ابن عطاء الله السكندري
رضي الله عنه

تقديم وتحقيق
مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي

الناشر



٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ٥١٢٠٨٤٧

من كنوز ابن عطاء الله السكندري

-٦-

كتاب

تاج العروس وأنس النفوس

تأليف

الإمام الربّاني

سيّدي ابن عطاء الله السّكندري

رضي الله عنه

تقديم وتحقيق

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي

الناشر



٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٧٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ويبدل السيئات حسنات بأمره، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

فنحن بين يدى كتاب هو بداية الطريق للملتمس الصراط المستقيم وللسالك المنهج الحق لأهل الله، وهو كتاب **"تاج العروس وأنس النفوس"** لسيدى الإمام ابن عطاء الله السكندرى – رضى الله عنه ونفعنا ببركاته – وقد عملت على الآتى فى تحقيق الكتاب:

١- قمت بمعالجة النص المخطوط طبقا لقواعد اللغة العربية، وعملت على حل إشكالاته إن وجدت بسبب سهو الناسخ، والتنبيه على مواضع السهو أو الخطأ وتقدير الصواب.

٢- علقت على كثير من عباراته بما يتناسب مع المراد معتمدا على كلام أهل الله فى ذلك.

٣- خرجت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة.

٤- ترجمت للمؤلف ولبعض العلماء من كتب التراجم المعروفة.

٥- وضعت فهرسا للكتاب تبعا لمضوعاته.

وقد لاحظت أن كلام المصنف – رضى الله عنه – متعدد الموضوعات مع اختصار للعبارات، فهو يدرك مواضع الداء منا ويرشدنا إلى الدواء، وهكذا شأنه – رضى الله عنه – فى كافة ما أثر عنه من أقوال أو مؤلفاتٍ؛ ولذلك لو عمدت إلى وضع عنونة تامة لموضوعاته لكان الفهرس أضعاف أضعاف ما كتبته، وأرى أن هذا من كرامات المؤلف – رضى الله عنه – حيث ضمن هذا الكتاب الصغير تلك المعانى الغزيرة، وهذا ديدن أولياء الله حين يعطيهم اللسان.

والحمد لله تعالى أن جعلنى خادما لأوليائه، وعسى أن ينفعنى ومن قرأ الكتاب بما فيه.

وصلى الله وسلم وبارك على من أعطاه الله الكمال وجعله مجلى الجمال، ومن مال عن طريقه فقد مال.

المحقق/

محمد عبد الرحمن الشاغول

وصف المخطوط

يوجد مخطوط الكتاب بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢١١) أخلاق تيمور، وعدد صفحاته اثنان وستون صفحة، ومقاس الصفحة(١٣,٥سم×٢٠سم) كما يسمى المخطوط باسم آخر وهو"**الطريقة الجادة إلى نيل السعادة**" ويسمى"**تاج العروس وقمع النفوس**" ويسمى"**التحفة فى التصوف**" وكلها أسماء تقع على ماصدق واحد، ويبدو أن تعدد التسمية من مريدى الشيخ وتلاميذه أو النساخ، وتشتمل الصفحة على(٢٣) سطرا تقريبا، وهو مكتوب بقلم عادى.

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

صورة الصفحة رقم (٣٤) من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

" ترجمة المؤلف "

نسبه – رضي الله عنه :

هو سيدي الإمام العارف الرباني أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجزامي السكندري – أصله من الإسكندرية ثم قطن مصر – الشاذلي، إمام تاج علمه مرتفعٌ ، وشمل فضله مجتمع ، وخبر نعته مشتهر، ودرّ حكمه منتشر، ومصنفاته مفيدة ، وحلل ذكره على مّر الأيام جديدة ، هجر النوم وقلاه، ولو لم يكن له غير كتاب « التنوير» لكفاه – وهو كتاب **«التنوير في إسقاط التدبير»**.

مذهبه الفقهي ومكانته العلمية :

قال التاج السبكي : أراه كان شافعيًا ، وقال غيره : كان مالكيًا.

وله اليد الطولى في العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة ، إمام في التفسير ، والحديث ، والأصول ، متبحِّر في الفقه، وله وعظ يعذب في القلوب، ويحلو في النفوس.

وكان قد تدرب بقواعد العلوم الشرعية، وَهَذَّبَتْه العلوم ، فاستدل بالمنطوق على المفهوم ، فساد بذلك العصابة الصوفية ، فكان له من الرياسة شِرْبٌ معلومٌ .

مشايخه:

منهم سيدي الشيخ ياقوت – رضي الله عنه – وقبله سيدي الشيخ أبو العباس المرسي.

تلاميذه:

أخذ عنه جمعٌ من الأعيان، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، منهم شيخ الشافعية التقي السبكي.

من مؤلفاته:

– له كتاب : « **الحكم العطائية** » وهو أشهر كتبه ، من تأمله قال ما هذا منشور ، إن هذا إلا لؤلؤ منثور ، كل سطر منه جنة قد حفَّت بالثمار ، وأحدقت بأنوار الأزهار ، وكل شطر لو يباع بثمنٍ بخسٍ لاشترى بألف دينار.

– وله كتاب :« **التنوير في إسقاط التدبير** »، وقد سبقت الإشارة إليه.

– وله كتاب : « **تاج العروس وأنس النفوس النفوس** »، وهو هذا الكتاب الذى بين أيدينا.

–وله كتاب « **لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي الحسن وتلميذه الشيخ أبي العباس المرسي** »، وقد طبع بتحقيق أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود ، بدار المعارف.

- وله رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾،وقد أكرمني الله تعالى بتحقيقها.

- وله رسالة : « **هتك الأستار في علم الأسرار** »، وقد خرجت بتحقيقي أيضا، ولله الحمد.

ومن كراماته:

أن الكمال ابن الهمام زار قبره - رضي الله عنه - فقرأ عنده سورة " هود " حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿ **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾، فأجابه من القبر بصوتٍ عالٍ : ياكمال ليس فينا شقيّ ، فأوصى الكمال بأن يدفن هناك.

ومنها : أن رجلاً من تلامذته حجّ ، فرأي الشيخ في المطاف، وخلف المقام، وفي المسعى ، وفي عرفة ، فلما رجع سأل عن الشيخ : هل خرج من البلد في غيبته في الحج ؟ فقالوا : لا ! فدخل إليه، وسلَّم عليه ، فقال له : من رأيت في سفرتك هذه من الرجال ؟ قال : يا سيدي رأيتك فتبسَّم، وقال : الرجل الكبير يملأ الكون لو دعى القطب من جحر لأجاب.

وفاته رضي الله عنه :

توفي رضي الله عنه – سنة تسع وسبعمائة، ودفن بالقرافة بقرب بني الوفا، وقرأت في « **الطبقات الكبرى** » لسيدي الشعراني أنه توفى سنة سبع – بالسين بعدها باء – وسبعمائة. (١)

(١) الترجمة من كتاب "الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية" للإمام المناوي (ج ٣ – الطبقة الثانية – ص ٥ : ص ٧ طبعة المكتبة الأزهرية) ، ومن كتاب " الطبقات الكبرى لشيخه الإمام الشعراني (ج ٢ – ص ٣٩١ – طبعة التوفيقية).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الجامع بين علمى الشريعة والحقيقة تاج الدين ابن العباس أحمد بن عطاء الله السكندرى – رحمه الله ورضى عنه وأفاض علينا من بركاته آمين:

التوبة إلى الله

أيها العبد اطلب التوبة من الله فى كل وقت؛ فإن الله تعالى قد ندبك إليها فقال تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ [النور: ٣١] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال رسول الله ﷺ: ((**إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة**))[١] فإن أردت التوبة فينبغى لك أن لا تخلو من التفكر بطول عمرك فتفكر فيما صنعت فى نهارك، فإن وجدت طاعة فاشكر الله تعالى عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك، واستغفر الله وتب إليه[٢]؛ فإنه لا مجلس مع الله أنفع من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وأنت ضاحك فرح، بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسة حزين القلب

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم فى "صحيحه".

(٢) وقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وكان يوبّخ نفسه فيقول: بخٍ بخٍ يا ابن الخطاب، فيتهكم من نفسه ليسوقها إلى الخير.

منكسر ذليل؛ فإن فعلت ذلك بدّلك الله بالحزن فرحاً، وبالذل عزاً وبالظلمة نوراً، وبالحجاب كشفاً[١].

عن الشيخ مكين الدين الأسمر[٢] ﷺ وكان من الأبدال السبعة قال: كنت في ابتداء أمرى أخيط وأنفق من ذلك، وكنت أعد كلامى بالنهار فإذا جاء المساء حاسبت نفسى فأجد كلامى قليلاً، فما وجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه، وما وجدت فيه من غير ذلك تبت إلى الله واستغفرته إلى أن صار بدلاً ﷺ.

واعلم أنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ويحاققها فأنت لا تحاسبه لمحاسبة نفسه، وإن كان وكيلاً غير محاقق لنفسه فأنت تحاسبه وتحاققه وتبالغ فى محاسبته، فعلى هذا ينبغى أن يكون عملك كله لله تعالى، ولا ترى أنك تفعل فعلاً لا تُحاسَبُ به ولا تحاقق.

وإذا وقع من العبد ذنب وقع بعده ظلمة[٣]، فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها كمن أوقد فى بيتٍ سبعين سنةً، ألا تراه يسوَدُّ؟ كذلك

---

(١) وفى الحديث ((ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه. ولئن استعاذنى لأعيذنه)) الحديث.

(٢) القطب السيد الولى مكين الدين الأسمر: هو أبو عبد الله بن منصور السكندرى الشاذلى، ولد بالإسكندرية فنشأ بها وحفظ القرآن وبرع فى علومه، وأسندت إليه مشيخة القراءات، ووفدت عليه أكابر الرجال.

وكان من أرباب المجاهدات، وكانت له أحوال عجيبة ومكاشفات غريبة.

توفى بالإسكندرية عام (٦٩٢هـ) ودفن بجانب سيدى أبى العباس المرسى – رضى الله عنهما. [طبقات الشاذلية الكبرى – محيى الدين الطُعْمى].

(٣) فى المخطوط (بعد)، والظاهر كونه (بعده) كما أثبتُّه.

القلب يسودّ بالمعصية، فلا يطهر إلا بالتوبة إلى الله تعالى، فصار الذل والظلمة والحجاب مقارنات للمعصية، فإذا تبت إلى الله تعالى وآلت آثار الذنوب، ولا يدخل عليك الإهمال إلا بإهمالك متابعة النبى ﷺ.

أقسام المتابعة

والمتابعة له عليه السلام على قسمين: جلية[١]، وخفية[٢].

فالجلية: كالصلاة والصيام والزكاة والجهاد والحج وغير ذلك.

والخفية: أن تعتقد[٣] الجمع فى صلاتك، والتدبر فى قراءتك، فإذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيهما جمعاً ولا تدبراً فاعلم أن بك مرضا باطنا من كِبْر أو عُجْب أو غير ذلك، قال الله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** [الأعراف:١٤٦]؛ فيكون مثالك كالمحموم الذى يجد فى فمه السكر مرًّا[٤] فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: **﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾** [إبراهيم:٣٦].

فمفهوم هذا أن من لم يتبعه فيس منه، وقال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: **﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾** [هود:٤٥] فأجابه الله سبحانه بأن

---

(١) الجلية: لما أنها تتعلق بالجلى وهو الأعضاء الظاهرة للمكلف.

(٢) الخفية: لما أنها تتعلق بالباطن الخفى من المكلف وهو القلب.

(٣) فى المخطوط (تعتقد) وهو تصحيف من الناسخ. والصحيح المثبت بمعنى جمع القلب والنظر فى معنى أفعال الصلاة وذكرها.

(٤) لأن الوعاء الذى هو محل الطاعة والتدبر قد انشغل بشىء آخر هو الكبر أو العجب أو غير ذلك. والمشغول لا يشغل.

قال: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هـود:٤٦] فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزءٌ من المتبوع وإن كان أجنبيا[١] كسلمان ﷺ لقوله ﷺ: ((سلمان منا أهل البيت))[٢] ومعلوم أن سلمان من فارس ولكن بالمتابعة[٣]، فكما أن المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال.

أين تجد الخير؟

وقد جمع الله الخير كله فى بيتٍ، وجعل مفتاحه متابعة النبــي ﷺ فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى، والزهد والتقلل من الدنيا، وترك مالا يعنى من قولٍ وفعلٍ، فمن فُتِح له باب المتابعة فذلك دليل على محبــةِ الله له، قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، فإذا طلبت الخير كلــه فقل: اللهم إنى أسألك المتابعة لرسولك ﷺ فى الأقوال والأفعال.

ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد الله تعالى فــى أعراضــهم وأنسابهم [٤]، فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضاً لا نطلقوا إلى الله، ولكنهم معوقون كالمدِيان المعوق بسبب من يطلبه.

واعلم أنك لو كنت مخصصاً عند الملك مقرباً منه وجــاءك مــن يطلبك بدين ضيَّق عليك ولو كان نَذْراً يسيراً، فكيف بك إذا جئــت يــوم

---

(١) لأن التابع يشرف بشرف المتبوع.

(٢) ورد فى الحديث أيضا: ((إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ، وعمار، وسلمان)).

(٣) قوله: (ولكن بالمتابعة): أى ولكن بالمتابعة حصل له ذلك، ففى الكلام اكتفاء.

(٤) فى المخطوط (وإيثارهم)، وما أثبته أنسب للمقام خاصةً وقد وجد فى نسخة أخــرى مــن المخطوط.

القيامة ومائة ألف إنسان أو أكثر يطلبونك بديونٍ مختلفة من مال وقذف عرض وغير ذلك؟ كيف يكون حالك؟

التائب حقاً هو التائب(١) من مصيبة الذنوب والشهوات التي(٢) جعلته كالشَّن(٣) البالي، هذا هو المنكوب المعزَّى، ذهبت مآكله وشهواته ملأ بها المرحاض، وأرضى بها زوجته، ويا ليتها كانت من حلال.

أول المقامات

فأول المقامات(٤) التوبة، ولا يقبل ما بعدها إلا بها.

مثال العبد إذا فعل المعصية كالقِدْر الجديد يوقد تحتها النار ساعة فتسود فإذا بادرت إلى غسلها انغسلت من ذلك السواد، وإن تركتها وطبخت فيها مرةً بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تنكسر، ولا يفيد غسلها شيئاً.

فالتوبة هي التي تغسل سواد القلب فتبرز الأعمال وعليها رائحة القبول، فاطلب من الله تعالى التوبة دائماً، فإن ظفرت بها فقد طاب وقتك؛ لأنها موهبة من الله يضعها حيث شاء من عباده، وقد يظفر العبد المشقَّق الأكعاب بها دون سيده، وقد تظفر بها المرأة دون زوجها والشاب دون الشيخ، فإن ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**

---

(١) قولي (هو التائب) ليس بالمخطوط، وأضفته إعمالاً للمراد وإصلاحاً للمعنى.

(٢) لفظة (التي) غير موجودة بالأصل، وأضفتها تحقيقاً للمعنى.

(٣) قوله: (الشَّن) أي القربة الخلق أي المتهالكة.

(٤) المقام: هو مقام العبد بين يدي ربه بما يقوم به من مجاهدات ورياضات لنفسه على الطاعات والعبادات. [المعجم الصوفي – د/ الحفني].

ويحبُ المُتطهِّرين﴾ [البقرة:٢٢٢] إنما يغتبط[٥] بالشيء من عرف قدره فلو بذرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب إليهم مما بذرت، فانظر من أي الفريقين أنت؟

إن تبت فأنت من المحبوبين، وإن لم تتب فأنت من الظالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، من تاب ظفر، ومن لم يتب خسر، ولا تقطع بأسك[١] وتقول: كم أتوب وأنقض فالمريض يرجو حياةً ما دامت فيه الروح.

إذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والأرض والرسول ﷺ[٢]، فالحق سبحانه لم يرض أن يكون محباً بل محبوباً وأين المحبوب من المحب؟ وأفٍ لعبدٍ يعلم إحسان المحسن فيجترئ[٣] على معصيته، ولكن ما عرف إحسانه من آثر عصيانه، وما عرف قدره من لم يراقبه، وما ربح من اشتغل بغيره، يعلم أن النفس تدعوه إلى الهلكة فاتّبعها، وعلم أن القلب يدعوه إلى الرشد وعصاه، وعلم قدر المعصيّ وواجهه بالمعصية، ولو علم إنصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته، وعلم قرب مولاه وأنه يراه فسارع لما عنه نهاه، وعلم أثر الذنب المرتب

---

(٥) أي: يفرح به.

(١) أي: لا تقطع قوتك وعزيمتك بذلك.

(٢) ودليل ذلك أنه ورد في الحديث: أن الأرض تبكي المؤمن إذا مات حتى مصلاه يبكيه، ودليل ذلك أيضا أنه ورد في الحديث: أن النبي ﷺ تعرض عليه أعمال أمته فما كان خيراً حمد الله عليه. وما كان شراً استغفر لنا.

(٣) في المخطوط (فيجبره)، والمثبت الصحيح الصالح للمعنى المراد.

عليه دنيا وأخرى وغيبا وشهادة[١] فما استحيا من ربه، ولو علم أنه في قبضته لما قابله بمخالفته[٢].

واعلم أن المعصية تتضمن نقض العهد[٣]، وتحليل[٤] عقد الود، والإيثار على المولى، والطاعة للهوى، وخلع جلباب الحياء، والمبارزة لله بما لا يرضى، مع ما في ذلك من الآثار الظاهرة المكروهة[٥] في الأعضاء، والجمود في العين[٦]، والكسل في الخدمة[٧]، وترك الحفظ للحرمة، وظهور كسف الشهوات[٨]، وذهاب بهجة الطاعات.

وأما الآثار الباطنة: فكالقساوة في القلب، ومعاندة النفس[٩]، وضيق الصدر بالشهوات[١٠]، وفقدان حلاوة الطاعات، وترادف الأغيار المانعة

---

(١) غيبا: أى فى البرزخ ويوم القيامة، وشهادة: أى فى الدنيا.

(٢) ولذلك فإنهم قالوا: إن المعصية حاصلة من عدم المشاهدة للحق تعالى، والذكر هو الذى يوصل إلى الحضور والمشاهدة فأمروا المريدين بدوام الذكر لله تعالى باللسان وبالجنان.

(٣) يصح أن يراد بالعهد ما أخذه الله علينا قبل أن نصير إلى الدنيا فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فإن من لازم الربوبية التى شهدنا به الطاعة. فإذا عصينا نكون قد نقضنا العهد، ويجوز أن يكون العهد من قبيل ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ الآية.

(٤) التحليل: بمعنى النقض والحل.

(٥) فى المخطوط (المكروة)، والقريب من المعنى المثبت.

(٦) جمود العين: قلة بكائها.

(٧) الخدمة: هى الطاعة.

(٨) كسف الشهوات: أى عبوس ينتج عن الشهوة، فيقال رجل كاسف الوجه أى عابس، وحجب نور الطاعة بسبب ظلمة المعصية والشهوة، والله أعلم.

(٩) أى: معارضة النفس لما فيه رضا الله، وطلبها للمعصية فى حين أنها كلفت بالطاعة.

من بروق شوارق الأنوار، واستيلاء دولة الهوى، إلى غير ذلك من ترادف الارتياب، ونسيان المآب وطول الحساب، ولو لم يكن في المعصية إلا تبدل الاسم[1] لكان كافياً؛ فإنك إذا كنت طائعاً تسمى بالمحسن المقبل، وإذا كنت عاصياً انتقل اسمك إلى المسيء المعرض، هذا فى انتقال الاسم فكيف في انتقال الأثر من تبدل حلاوة الطاعة بحلاوة المعصية، ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة؟! هذا فى تبدل الأَثر فكيف فى تبدل الوصف بعد أن كنت موصوفاً عند الله سبحانه بمحاسن الصفات ينعكس الأمر فتتصف عند الله بمساوئ الحالات؟! هذا فى تبدل الصفة فكيف فى تبدل المرتبة؟! فبعد أن كنت عند الله من الصالحين صرت عنده من المفسدين، وبعد أن كنت عنده من المتقين صرت عنده من الخائنين، فإن كانت الذنوب متفتحة فى وجهك فاستغث بالله، والجأ إليه، واحثُ التراب على رأسك، وقل: اللهم انقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وَزُرْ ضرائح الأولياء والصالحين، وقل: يا أرحم الراحمين.

مجاهدة النفس

أتريد أن تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك! ألا فقد جهلت، فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة، وثمراتها مواجيدها[2]، فالعين ثمرتها الاعتبار، والأذن ثمرتها الاستماع للقرآن، واللسان ثمرته الذكر،

---

(١٠) قوله: (بالشهوات) أى: بسبب الشهوات يحدث الضيق فى الصدر، فالباء سببية.

(١) أى: تبدل اسم الطائع فى الألواح إلى عاصٍ، وتبدل اسم الطاعة إلى معصية.

(٢) أى: ما يحصل لها من وجدان آثار الطاعة من نور وواردات ترد على القلب وكشف وبصيرة.

واليدان والرجلان ثمرتها[١] السعى فى الخيرات، فإذا جف القلب سقطت ثمراته، فإن أجدب فأكثرْ من الأذكار، ولا تكن كالعليل يقول: لا أتداوى حتى أجد الشفاء، فقيل له: لا تجد الشفاء حتى تتداوى، فالجهاد ليس معه حلاوة، وما معه إلا رؤوس الأسنة، فجاهد نفسك؛ فهذا هو الجهاد الأكبر واعلم أن الثكلى[٢] لا عيد لها، بل العيد لمن قهر نفسه، لا عيد إلا لمن جمع شمله.

جاز بعضهم على دَيْر راهبٍ، فقال له: يا راهب متى عيد هؤلاء؟ قال: يوم يُغفَر لهم.

ما مثالك مع نفسك إلا كمن وجد زوجته فى حانة خمار، فأتاها بالملابس الحسنة والمآكل الطيبة، وإذا تركت الصلاة أصبح يلقمها الهرائس[٣] والألوان.

بقى بعضهم أربعين سنة لا يحضر الجماعة لما يشم من نتن قلوب الغافلين، فما أعرفك بمصالح الدنيا، وما أجهلك بمصالح آخرتك! مثل الدنيا عندك كمن خرج إلى الدنيا الضيقة واجتهد بخزن الأقوات، فأنت قد أتيت بما يعود نفعه عليك فى وقته، وأنت خزنت حياة الشهوات وعقارب المعصية فهلكت[٤].

---

(١) هكذا (ثمرتها)بالإفراد فى المخطوط أى: هذه الأعضاء.

(٢) الثكلى: التى تفقد ولدها. والمعنى: لا فرح لها ولا تشعر ببهجة عيد لأنها قهرت تحت الحزن على ولدها. فكذلك لا عيد ولا فرح لمن قهر تحت المعصية بل العيد لمن قهر نفسه تحت الطاعة فأراد الله الفرح والسعادة.

(٣) الهرائس: جمع هريسة. والهرس الدَّقُّ- انظر "مختار الصحاح".

(٤) فى المخطوط (هلكت) بغير الفاء، وإثباتها أصلح للسياق.

كفى بك جهلاً إن الناس يخزنون الأقوات لوقت حـاجتهم إليهـا، وأنت تخزن ما يضرك وهى المعاصى، وهل رأيت من يـأتى بحيـات فيربيها فى داره؟! فها أنت تفعل ذلك، وأضر ما يخاف عليك محقـرات الذنوب؛ لأن الكبائر لما استعظمتها فتبت منها، واستحقرت الصغائر فلـم تتب منها، فمثالك كمن وجد أسداً فخلصه الله منه، فوجد بعده خمسين ذئبا فغلبوه، قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًـا وَهُـوَ عِنـدَ اللَّـهِ عَظِـيمٌ﴾ [النور:١٥] والكبيرة حقيرة فى كرم الله، وإذا أصررت علـى الصـغيرة صارت كبيرة، لأن السُم يقتل مع صغره، والصغيرة كالشرارة من النـار والشرارة قد تحرق بلدة.

من أنفق عافيته وصحته فى معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار فاشترى بها حيات وعقارب وجعلها حوله تلذعه هـذه مـرة، وتلسعه هذه أخرى أفما تقتله؟!

وأنت تمحق الساعات فى مخالفته، فما مثلك إلا كالحِدَأة تطـوف على الجيفة حيثما وجدتها انحطت إليها، بل كن كالنحلة صغيرة جِرْمُهـا كبيرة همتها، تجنى طيباً وتضع طيباً، طالما تمرغت فى مواطن المحن! فتمرغ فى محابِّ الله عز وجل، فهذه الحقيقة تبين طرائقك، ولكـن مـا أماتته الغفلة لم ترده النكبات[١]؛ لأن المرأة الناقصة العقل يموت ولـدها

---

(١) فى المخطوط (قدر المنكبات) وهو سهو من الناسخ، والصحيح المثبت تبعا لما فى طبعـة أخرى من الكتاب.

وهى تضحك، فكذلك تتكب عن قيام الليل وصيام النهار وتموت[١] جميع جوارحك ولا تتألم؛ وما ذلك إلا لأن الغفلة قد أماتت قلبك، لأن الحجر لا يؤلمه[٢] نقر الإبرة، ولو قطع الميت بالسيوف لم[٣] يتألم؛ فأنت حينئذ ميت القلب، فمجلس الحكمة نفحة من نفحات الجنة تجدها فى طريقك وفى دارك وفى بيتك، فلا يفتك المجلس ولو كنت على معصية، ولا تقل: ما الفائدة فى حضور المجلس وأنا أعصى ولا أقدر على ترك المعصية!! بل على الرامى أن يرمى[٤] فإن لم يأخذ اليوم يأخذ غداه.

التحذير من المعصية

يا هذا إياك والمعصية؛ فقد تكون سبباً لتوقف الرزق، فاطلب من الله التوبة، فإن قبلت وإلا فاستغث بالله، وقل: **﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الأعراف:٢٣]، ولا تكن كمن أتى عليه أربعون[٥] سنة ولم يقرع باب الله قط ولكن أكثر ما يخاف عليك من سوء الخاتمة والعياذ بالله بسبب إطفاء جمرة الإيمان بسوء العصيان وهى الذنوب على الذنوب من غير توبة حتى يسودّ القلب من غير

---

(١) هذا اللفظ غير واضح بالمخطوط، والتقدير بقولى (وتموت) أقرب للمراد، بدليل قوله بعد ذلك (الغفلة أماتت قلبك).

(٢) فى المخطوط بدون (لا)، والصحيح المثبت.

(٣) فى المخطوط (ولم)، والصحيح حذف الواو.

(٤) جملة (على الرامى أن يرمى) سقطت من المخطوط، وهى مثبتة فى نسخة مطبوعة.

(٥) فى المخطوط (أربعين)، وهو سهو الناسخ.

توبة. إياك أن تتهاون فى أعمالك وتختار الطيبات لمرحاضك[٦]، واحذر نفسك التى بين جنبيك، فهى التى تحطب عليك ثم لا تفارق صاحبها إلى الممات، والشيطان يفارق فى رمضان؛ لأنه قفل فيه الشياطين، وربما تجد من يقتل ويسرق فى رمضان، فهذا من النفس فإذا مالت إلى معصية فذكرها بعذاب الله والقطيعة عن الله بسببه.

والعسل المسموم يترك مع العلم بحلاوته لما فيه من جوْر الأذى[١] لقوله ﷺ: ((**الدنيا حلوة خضرة**[٢])) فى مرآة النفوس، ((**جيفة قذرة**)) عند مَرْأى[٣] القلوب ويروى[٤] أيضاً: ((**حلوة خضرة عند أهل الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء**)) "حلوة خضرة" للتحذير، "وجيفة قذرة" للتنفير، فلا تخدعنكم بحلاوتها فإن عاقبتها مُرَّة.

إذا قيل ذلك: مَن المؤمن؟ فقل: الذى اطّلع على عيب نفسه ولم ينسب أحداً من العباد إلى عيب، وإذا قيل لك: مَن المخذول؟ فقل: الذى ينسب العباد إلى العيب ويبرّئ نفسه منه.

---

(٦) فى المخطوط (لميحاضك)، والصحيح المثبت، بمعنى لا تُذْهب طيباتك فى الحياة الدنيا حتى يصير مآلها المرحاض بعد الأكل والشرب والسَّرَف كما ورد فى الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فيخوض المرء فى أكل الحرام أو الإسراف فى الحلال والرفاهية السخيفة فى الدنيا، والاستكثار من ملذاتها بما يمنعه من القيام بالواجبات ويجعله من المقصرين فى فعل الخيرات. هذا معنى كلامه، والله تعالى أعلم.

(١) أى: لما فيه من الأذى الذى يشبه الإنسان الجائر فى حكمه المؤذى للآخرين، ففى كلامه تشبيه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم بلفظ ((حلوة خضرة)) فقط دون بقية الحديث.

(٣) أى: فيما تراه القلوب السليمة، فمرأى: اسم مكان من الرؤية.

(٤) قوله (ويروى أيضا) غير موجودة فى المطبوع.

ومما تمادى عليه أهل الزمان مباسطتهم وموافقتهم للعاصين، ولو أنهم عبسوا فى وجوههم لكان ذلك زاجراً لهم عن المعصية.

لو فتح لك باب الكمال لما رجعت إلى الرذائل[١]، أرأيت من فتح له باب القصر أيرجع إلى المزابل؟ لو فتح لك باب الأنس بينك وبينه ما طلبت من تأنس به، لو اختارك لربوبيته ماقطعك عنه، لو كرمت عليه لما رماك لغيره[٢] إذا عز عنك محبة مخلوق فافرح بهذا؛ فإنه من عنايته بك، ولا تكون معصية إلا والذل معها، أفتعصيه ويعزك؟! كلا، فقد ربط العز مع الطاعة والذل مع المعصية، فصارت طاعة ونوراً وعزاً وكشف حجاب، وضدها معصية وظلمة وذلاً وحجاباً[٣] بينك وبينه، ولكن ما منعك من الشهود إلا عدم وقوفك مع الحدود، واشتغالك بهذا الوجود.

وإذا عصى ولدك فأدبه بالشرع ولا تقطعه، بل قابله بالعبوسة ليكف عن المعصية، وأكثر ما يدخل على المؤمن الدَّخَل[٤] إذا كان عاصياً فإما أن يفضحوه، وإما أن يستهزئوا به، فإذا فعلوا ذلك فقد أخطأوا الطريق.

---

(١) وفى الحديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار)) وفى القرآن: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

(٢) قال تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ الآية، فكذلك لو كرم العبد على ربه لما رماه لغيره.

(٣) أى: وصارت ذلاً وحجاباً، فهما منصوبان على أنهما خبر لصار المقدَّر فى الكلام.

(٤) الدَّخَل: هو المكر والخديعة، أى يحصل له بفعلهم هذا معه الخديعة من الشيطان وأن يمكر به. وفى الحديث: ((لا يكونَنَّ أحدكم عوناً للشيطان على أخيه)) .

إذا عصى المؤمن فقد وقع فى وَحْلَةٍ عظيمة، وطريقه أن تفعل معه كما فعلت مع ولدك، إذا عصى تعرض عنه فى الظاهر، وتكون راحما له فى الباطن وتطلب له الدعاء بالغيب.

الحسد جهل محض

كفى بك جهلاً أن تحسد أهل الدنيا على ما أُعطوا وتشغل قلبك بما عندهم[١] فتكون أجهل منهم لأنهم اشتغلوا بما لم تُعْطَ، ترمد عينك فتعالجها، وما سبب ذلك إلا أنك ذقت بها لذة الدنيا، فتعالج بصرك حتى لا يفوتك النظر إلى مستحسناتها، وترمد بصيرتك أربعين سنةٍ فَلا تعالجها، واعلم أن عمراً أُضِيعَ أوله حَرِيٌّ أن يُحْفَظَ آخره، كامرأة لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقى واحد، أليست ترد وجْدَها[٢] على ذلك الواحد؟ وأنت قد ضيعت أكثر عمرك فاحفظ بقيته، وهى صبابة يسيرة والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله[٣].

شتان بين أهل السعادة والشقاوة، فأهل السعادة إذا رأوا إنساناً على معصية الله تعالى أنكروا عليه فى الظاهر، ودعوا له فى الباطن[٤]، وأهل

---

(١) لأن الحال أنه يشتغل بما لا يعنيه وبما لم يضعه الله فيه، فأراد أن يقيم نفسه فى غير ما ارتضاه الله له.

(٢) أى: تشغل نفسها به وتتعلق به قلباً، فتجعل حزنها عليهم سبباً فى عطفها عليه.

(٣) فالإنسان يولد مرتين: مرة عند دخوله الدنيا، ومرة عند ولادة روحه على يدى الشيخ المربى.

(٤) كما فى الآية: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ الآية، فيصعب على أهل السعادة أن يروا أهل المعصية والكفر على ما هم عليه، ومع ذلك يعرفونهم طريق الحق وينكرون عليهم الباطل، وينصحونهم بتركه.

الشقاوة ينكرون عليه تشفيا به، وربما ثلبوا عليه عِرْضه(٥)، فالمؤمن ناصح لأخيه في الخلوة ساتر له في الجلوة، وأهل الشقاوة بالعكس إذا رأوا إنسانا على معصية الله أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها، فهؤلاء لا تنوّر بصائرهم وهم عند الله مبعدون، وإذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر إليه إذا ذكرت له شخصاً من أقرانه، فإن وجدته ملهوفاً على محمل سوء حتى يقول لك: خَلّنا من ذلك، فعل كذا وكذا؛ فاعلم أن باطنه خراب، وليس فيه معرفة.

وإذا رأيته يذكره بخير أو يُذْكَرُ له ما يوصف بالذنب، ويحمله محمل حسن ويقول: لعله سها أو له عذر وما أشبه ذلك؛ فاعلم أن باطنه معمور، فإن المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم.

من قارب فراغ عمره، ويريد أن يستدرك ما فاته، فليذكر الأذكار الجامعة، فإذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلاً لقوله: سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

وكذلك من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله ﷺ، فإنك لو فعلت في عمرك كل طاعة ثم صلى عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات، لأنك تصلي على حسب وسعك، وهو يصلي على حسب ربوبيته، هذا إذا كانت صلاة واحدة، فكيف إذا صلى عيك عشراً بكل صلاة كما جاء في الحديث الصحيح، فأحسن العيش إذا أطعت الله فيه

(٥) أي: خاضوا في ذكر عيوبه وَذنوبه وقدحوا منه لأجلها كالذي قتل تسعةً وتسعين نفساً – فيمن قبلنا – فسأل عن التوبة، فقيل له: مالك من توبة...

بذكر الله تعالى أو بصلاة على رسول الله ﷺ، ويروى أنه ما من مصيد يصاد، ولا من شجرة تقطع إلا بغفلتها عن ذكر الله عز وجل؛ لأن السارق لا يسرق بيتاً وأهله أيقاظ، بل على غفلة أو نوم.

من علم قرب رحيله أسرع في تحصيل الزاد، ومن علم أن إحسان غيره لا ينفعه جد في الإحسان[١] ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر، ومن وكل وكيلاً واطلع على خيانته عزله؛ كذلك نفسك إذا اطلعت على خيانتها فاعزلها وضيّق عليها المسالك.

إذا رأينا فيك الإعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك، وإذا رأينا فيك الإنابة والخشية والزهد فهذا من صنائع الله مثال ذلك: إذا رأيت ببلدك الحلْفا والشوك والعوْسج فهذا نبات أرض بلدك، وإذا رأيت بها العود الرطب والمسك والعنبر فاعلم أنه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرض بلدك، فالمسك من غزلان عراقها، والعنبر من بحر هندها.

حقيقة الإيمان

مثال الإيمان معك إذا عصيت الله تعالى[٢] كالشمس المكسوفة أو السراج إذا غطيته بصَحْفَة هو موجود ولكن منع نوره الغطاء، ثم إنك تحضر المجلس في الجامع ليتوفر عقلك، وإن كان عمرك قليلاً يصير كثيرا بحصول الإيمان والخشوع والخضوع والخشية والتدبر والتذكر

---

(١) قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.

(٢) تكرر لفظ (تعالى) في المخطوط، وهو سهو من الناسخ.

ونحوها[١]، فلو عرفت الإيمان ما قاربت العصيان، فلا عزيم أمطل من النفس[٢] ولا عدو أعظم من الشيطان، ولا معارض أقوى من الهوى، ولا يرفع المدد الهابط إلا مثل الكِبْر لأن الغيث لا يقرُّ إلا في الأرض المنخفضة لا فوق رؤوس الجبال، فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل إلى قلوب المتواضعين[٣] والمراد بالمتكبرين من يرد الحق، لا من يكون ثوبه حسناً، ولكن بَطَر[٤] الحق؛ يعنى دفعه واحتقار الناس، ولا تعتقد أن الكبر لا يكون إلا فى وزيرٍ أو صاحب دنيا، بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلةٍ، وهو يفسد ولا يصلح لأنه تكبر على حق الله[٥]، ولا تعتقد أن المنكوب من كان فى الأسر أو فى السجن، بل المنكوب من عصى الله وأدخل فى هذه المملكه الطاهرة نجاسة المعصية.

كثير من أنفق الدنانير والدراهم، ولكن من أنفق الدمع[٦]قليل والأحمق من مات ولده وجعل يبكى عليه ولا يبكى على ما فاته من الله فكأنه يقول بلسان حاله: "أنا أبكى على ما كان يشغلنى عن ربى"، بل كان

---

(١) أى: بحصول بركة هذه الطاعات فيصير العمر القصير زمناً محتوياً على خير فائض عنه كما لو عاش إنسان ستين عاماً ولكنه كان كثير العصيان، والآخر عاش ثلاثين ولكنه وفقه الله للطاعة الكثيرة التى جعلت عمره كما لو كان ستين عاماً.

(٢) لأنها تقول لى أو لك: غداً أصلى النوافل غداً أفعل الخيرات غداً أتصدق غداً أتوب، وهكذا كالذى عليه دين ويقول غدا أسدد لك الدين ولا يفعل.

(٣) قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾ الآية.

(٤) البطر: الأشر وهو شدة المرح، قال تعالى: ﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً﴾ الآية.

(٥) فى المطبوع: (على خلق الله) وهو أنسب للمعنى. وقوله: (على حق الله) أى مراعاة حق الله الذى هو رعاية حقوق خلقه، فلا تعارض بينهما.

(٦) فى المطبوع (الروح)، وكلا المعنيين صالح للسياق والمراد.

ينبغى له الفرح بذلك ويقبل (١) على مولاه؛ لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه، وقبيح بك أن تشيب وأنت طفل العقل صغير ولا تفهم مراد الله منك، فإن كنت عاقلاً فابكِ على نفسك قبل أن يُبكَى عليك؛ فإن الزوجة والولد والصديق والخادم لا يبكون عليك إذا مت، بل يبكون على ما فاتهم منك[٢]، فسابقهم أنت بالبكاء وقل: يحق لى أن أبكى على فوات حظى من ربى قبل أن يبكوا علىّ.

كفى بك جهلاً أن يعاملك مولاك بالوفاء وأنت تعامله بالجفاء.

من هو الرجل حقا؟

ليس الرجل من صاح بين الناس فى المجلس[٣]، إنما الرجل من صاح على نفسه وردها إلى الله تعالى.

من غالَ همَّ الدنيا وترك هم الآخرة فهو كمن جاء أسد يفترسه ثم قرسه برغوث فاشتغل به عن الأسد، فإن من غفل عن الله اشتغل بالحقير، ومن غفل عنه لم يشتغل إلا به[٤]، فأحسن أحوالك أن تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة طالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا.

---

(٢) أى: من حسيات أو معنويات، فالحسيات كالبكاء على فقدان المال، والمعنويات كالبكاء لحصول عاطفة الشوق واللوعة لفقدان الميت التى يتألم بسببها الإنسان وهو لا يريد أن تتعب نفسه وتتألم بمثل هذه العواطف، وليس هذا حال الجميع بل ربما كان الغالب منا نحن البشر.

(٣) أى: صاح من أثر ما يجد من حلاوة الذكر أو الإنشاد أو حصول وارد ورد عليه أو حتى صاح رافعا صوته يريد بذلك لفت الأنظار إليه والرفعة بين القوم.

(٤) هكذا فى المخطوط، ويصلح أن يكون معناه: ومن غفل عنه – أى عن الحقير – فالضمير فى (عنه) يعود عليه الحقير من الأشياء، ولكن ليس كل من اشتغل عن الحقير لا ينشغل إلا بالله. وفى المطبوع (ومن لم يغفل عنه) وهو أصلح للمعنى وأجود.

ما أقبح الخوف بالجندى!! وما أقبح اللحن بالنحوى!! وما أقبح طلب الدنيا ممن يظهر الزهد فيها!!

ليس الرجل من يربيك لفظه، إنما الرجل من يربيك لحظه.

بركة نظر الولى

عن الشيخ أبو العباس[١] المرسى ﷺ أنه قال: إذا كانت السلحفاة تربى فراخها بالنظر أفما يربى الشيخ مريده بالنظر؟! لأن السلحفاة تبيض فى البر وتتوجه إلى جانب النهر وتنظر إلى بيضها فيربيهم الله تعالى لها بنظرها إليهم.

إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه، ليس حلاوة حبه فى المآكل والمشارب؛ لأنه يشاركك فيها الكافر والدابة، بل شارك الملائكة فى حلاوة الذكر والجمع[٢] على الله تعالى؛ لأن الأرواح لا تحتمل وساوس النفوس، فإذا انغمست فى جيفة الدنيا لا تصلح للمفاخرة؛ لأن حضرة الله تعالى لا يدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية، وطهر نفسك من العيب يفتح لك باب الغيب وتب إلى الله تعالى وارجع إليه بالإنابة والذكر، ومن أدام قَرْع الباب يُفْتَح له، ولولا الملاطفة ما قلنا

---

(١) هكذا فى المخطوط (أبو) بالواو على الحكاية، وإلا لكان الواجب الجر بالياء على البدلية وهو سيدى أحمد أبو العباس المرسى، كان من أكابر العارفين، وكان يقال: إنه لم يرث علم الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق، وكان يقول: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق، وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلى يقول: كتبى أصحابى، مات ﷺ سنة ست وثمانين وستمائة انظر [الطبقات الكبرى - الإمام الشعرانى - جـ٢ صـ٣٧٧: صـ٣٩٠]

(٢) أى: انجماع نفسه وقلبه وروحه وتوجهها إلى ربه بكمال الطاعة واليقين والعبودية.

ذلك؛ لأنه كما قالت رابعة[١]: ومتى غلق هذا الباب حتى يفتح، ولكن هذا الباب يوصلك إلى قربه.

وإياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى، فأول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته وما ذكره الذاكرون وفتح عليهم إلا باستحضارهم ذلك، وما طردوا إلا بذكرهم مع غلبة الذهول[٢] عليهم، وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج، ولا يضادك[٣] في الله إلا نفسك.

التودد إلى الله تعالى

ما أكثر توددك للخلق، وما أقل توددك للحق!! لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب، ركعتان في جوف الليل تودد، عيادتك المرضى تودد، صلاتك على جنازة تودد، الصدقة على المسكين تودد، إعانتك لأخيك المسلم تودد، إماطتك الأذى عن الطريق تودد، ولكن السيف المطروح يحتاج إلى ساعدٍ، ولا عبادة أنفع لك من الذكر، لأنه يمكن للشيخ الكبير المريض الذى لا يستطيع القيام والركوع والسجود.

واعلم أن العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل على الله، هل رأيت مملوكاً أول ما يُشْتَرى يصلح للخدمة؟ بل يُعطى لمن يربيه ويعلمه الأدب، فإذا صلح وعرف الأدب قدمه للملك كذلك الأولياء – رضى الله

---

(١) هى السيدة رابعة العدوية، وتسمى أيضاً البصرية أو القيسية، كانت عذراءً بتول، وتوفيت سنة مائة وثمانين. ودفنت بالبصرة على أرجح الأقوال.

(٢) الذهول: بمعنى الغفلة.

(٣) يضادك: أى يخالفك فى الله ويطلب ضد ما يطلبه الله منك.

عنهم – يصحبهم المريدون حتى يزجوا[١] بهم إلى الحضرة كالعوَّام إذا أراد أن يعلم الصبى العوم يجاذيه إلى أن يصلح للعوم وحده، فإذا صلح زجه فى اللجة وتركه..

الأنبياء والأولياء وسيلة كبرى إلى الله

فائدة مباركة: وإياك أن تعتقد أنه لا يُنْتَفع بالأنبياء والأولياء والصالحين فإنهم وسيلة جعلهم الله إليه؛ لأن كل كرامة للولى هى شهادة بصدق النبى جرت على أيدى الأولياء، مثل خرق العادة، والمشى على الماء، والطيران فى الهواء، وإخبار المغيبات، ونبع الماء، ونحو ذلك لأنهم لم يعطوا ذلك إلا لأجلهم[٢].

عن الشيخ أبى الحسن[٣] ﷺ أنه قال: كلْ نفسك وزنها بالصلاة فإذا انتهت عن الحظوظ فاعلم أنك سعدت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

---

(١) أى: يدفعوا بهم إلى حضرة الله تعالى ومعيته.

(٢) أى: لأجل الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام. وفى المطبوع: إلا لأجله ولحسن متابعتهم للنبى ﷺ.

(٣) هو سيدى على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى، وشاذلة قرية من أفريقية، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كثير المقدار عالى المنار له عبارات ورموز. صحب الشيخ نجم الدين الأصفهانى وابن مشيش وغيرهما، وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصداً الحج، فدفن هناك فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، وشهد له أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية، جاء فى هذه الطريق بالعجب العجاب، وكان الشيخ ابن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبى الحسن ﷺ وكان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة، ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع أنهم

تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت:٤٥]، وإلا فابك على نفسك إذا جررت رجلك إلى الصلاة جراً، فهل رأيت حبيباً لا يريد لقاء حبيبه؟ فمن أراد أن يعرف حقيقته عند الله وينظر حاله مع الله فلينظر إلى صلاته إما بالسكون والخشوع، أو بالغفلة والعجلة فإن لم تكن بالوصفين الأولين فاحث التراب على رأسك؛ فإن مَنْ جَالَسَ صاحب المسك عبق ريحه عليه، فإن الصلاة مجالسة الله تعالى، فإذا جالسته ولم يحصل لك منه شيء دل ذلك على مرض فيك، وهو إما كِبْر أو عُجْب أو عدم أدب، قال الله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** [الأعراف:١٤٦] فلا ينبغي لمن صلى أن يسرع الخروج، بل يذكر الله تعالى ويستغفر من تقصيره فيها، فرب صلاةٍ لا تصلح للقبول، فإن استغفرت الله بعدها قبلت، كان النبي ﷺ إذا صلى استغفر الله ثلاث مرات.

كم فيك من الكوامن[1]، فإذا أوردت عليه الواردات أظهرتها، وأعظمها ذنب الشك في الله، والشك في الرزق شك في الرازق.

حقارة الدنيا

الدنيا أحقر من أن يُعَال همها، صغرت الهمم فعالت صغيراً، فلو كنت كبيراً لعلت الكبير.

أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة... انظر [الطبقات الكبرى- للإمام الشعراني - جـ٢ صـ٣٦٣: صـ٣٧٧].

(١) في المخطوط (الكوائن)، والأصلح (الكوامن) أي الأمور الكامنة في الباطن المختفية. وهو هكذا أيضا في المطبوع.

من عال الهم الصغير وترك الهم الكبير استسفلنا[٢] عقله.

قم أنت بما يلزمك من وظائف العبودية، وهو يقوم لك بما التزمه أيرزق الجُعل[١] والوزغ وبنات وردان، وينسى أن يرزقك؟ قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه:١٣٢].

كل من كان مراعياً لحق الله تعالى لا يحدث الله سبحانه حدثاً في المملكة إلا أعلمه[٢] نظر بعضهم إلى جماعة فقال لهم: هل فيكم مَنْ إذا أحدث الله في المملكة حدثاً أعلمه؟ قالوا: لا، فقال: ابكوا على أنفسكم.

كان المتقدمون من السلف - رضى الله عنهم - يسألون الشخص عن حاله ليستثيروا منه الشكر[٣] والناس اليوم ينبغي ألا يسألوا؛ فإنك تثير منهم الشكوى.

---

(٢) في المخطوط والمطبوع (استسلفنا) بتقديم اللام على الفاء، والصحيح المثبت- أى رأينا عقله في المرتبة السفلى الدنية الوضيعة.

(١) الجُعل: بضم الجيم المعجمة وفتح العين المهملة دويبة.

(٢) هذا مستفاد من الحديث القدسي ((.....كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها...)) فينال معية الله الخاصة، ويكشف له أموراً ومغيبات كما كان في عهد سيدنا عمر ﷺ لما خاطب سيدنا سارية، وكان سيدنا عمر على المنبر، وسيدنا سارية في المعركة على مسيرة شهرين من المدينة، فقال له: يا سارية الجبل الجبل - أى الزم الجبل - فسمعه سيدنا سارية، وأخبر بذلك عندما عاد من القتال، وامتثل أمره في المعركة، وعاد منتصراً، وغير ذلك الكثير جداً مما ورد عن الصحابة والتابعين والأولياء إلى يومنا هذا.

(٣) أى: فيسمعون شكره لله على ما هو عليه من الحال، فيحصل له ولهم الأجر بذلك.

عن بعض النباشين أنه تاب إلى الله فقال يوماً لشيخه: يا سيدى نبشت ألف قبر إنسان فوجدت وجوههم محولةً عن القبلة، فقال له شيخه: يا ولدى ذلك من شكّهم فى الرزق. يا عبد الله إذا طلبت من الله فاطلب منه أن يصلحك من كل الوجوه، وأن يصلحك بالرضا عنه فى تدبيره، ثم إنك عبد شرود[١] طلب منك أن تعبر إليه ففررت منه، فإن الفرار إنما يكون بالأفعال والأحوال والهمم، فإذا كنت فى صلاتك تسهو، وفى صومك تلغو، وفى لطف الله تشك أفما أنت شارد؟

محاسبة النفس

عن الشيخ أبى الحسن ﷺ أنه قال: بقيت مرة فى البادية ثلاثة أيام لم يفتح لى بشىء، فجاز علىّ بعض النصارى فرأونى متكئاً، فقالوا: هذا قسيس من المسلمين[٢]، فوضعوا عند رأسى شيئاً من الطعام، وانصرفوا فقلت: يا للعجب، كيف رزقت على أيدى الأعداء ولم أرزق على أيدى الأحباء؟! فقيل لى[٣]: ليس الرجل من يرزق على أيدى الأحباء، إنما

---

(١) فى المخطوط: (مترود)، وهو خطأ من الناسخ، والظاهر ما أثبته بدليل قوله: (أفما أنت شارد).

(٢) يعنى:عالم من علماء المسلمين، ففى لغة العرب يجوز أن تقول على الشيخ والقسيس شيخان تغليباً، وإن شئت قلت قسيسان، فيقال على الشمس والقمر القمران تغليباً، وعلى الليل والنهار الأسودان تغليباً لسواد الليل على ضوء النهار.

(٣) قوله: (فقيل لى) أى: جاءه هاتف من عند ربه، وحدثته نفسه بذلك، وألقى الله فى خاطره هذا.

الرجل من يرزق على أيدى أعدائه[٤]، يا هذا اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق ضربتها فرجعت إلى الطريق، ولو فعلت مع نفسك كما تفعل مع ملابسك كلما توسخت جُبّتك غسلتها، وكلما تقطع شيء منها رقعته وجددته كان لك السعادة، فرُب رجل ابيضت لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب فيها نفسه.

كان الشيخ مكين الدين الأسمر[١] ﷺ يقول: كنت أحاسب نفسي عند المساء فأقول: تكلمت اليوم بكذا وكذا، فأجد ثلاث كلمات أو أربع.

كان عنده يوماً شيخ عمره نحو تسعين سنة فقال له: يا سيدى كم نشكوا إليك كثرة الذنوب، فقال له: يا سيدى كم أشكو إليك كثرة الذنوب فقال له الشيخ: هذا شيء لا نعرفه، وما عرفت أنى عملت ذنباً قط.

كما أن للدنيا أبناء من استند إليهم [كفوه، فكذلك للآخرة أبناء من استند إليهم][٢] أغنوه، ولا تقل: طلبنا فلم نجد، فلو طلبت لوجدت، وسبب عدم وجدانك عدم استعدادك[٣]؛ فإن العروس لا تجلى على فاجر، فلو

---

(٤) أى: يرزقه الله على أيدى أعدائه لمكانته عنده، ولأن الله يتكفل به، فيرزقه ولو على أيدى أعدائه. والله أعلم.

(١) سيدى مكين الدين الأسمر: هو أبو عبد الله بن منصور السكندرى الشاذلى، ولد بالاسكندرية فنشأ بها وحفظ القرآن وبرع فى علومه. وأسندت إليه مشيخة القراءات، ووفدت عليه أكابر الرجال من أرباب المجاهدات، وكانت له أحوال عجيبة ومكاشفات غريبة، توفى بالاسكندرية سنةاثنين وتسعين وستمائة، ودفن بجانب سيدى أبى العباس المرسى [طبقات الشاذلية الكبرى – الطعمى – صـ٢٢٠]

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من المخطوط، وأثبته من المطبوع.

(٣) ومن كلامهم: الإمداد على قدر الاستعداد.

طلبت رؤية العروس لتركت الفجور، ولو تركت الفجور لرأيت الأولياء، والأولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا مددهم[٤]، ولو نقص واحد منهم لنقص من نور النبوة، فإذا أحببت حبيباً لم تصل إليه حتى تكون أهلاً للوصول إليه، وذلك حتى تظهر مما أنت فيه من الرذائل.

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون.

حلاوة الطاعة

إذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ولم تجد لها حلاوة في قلبك وتَخِفّ[١] عليك المعصية وتجد لها حلاوة؛ فاعلم أنك لم تصدق توبتك؛ فإنه لو صح الأصل لصح الفرع. ليتك أطعت[٢] مولاك كما يطيعك عبدك، فإنك تحبه ناهضاً في خدمتك دائماً، وأنت تحب الطاعة وتطلب أن تفرغ منها مسرعاً كأنك تنقر بالمناقير، فياليت بصراً نظرت به محاسن غيره عُوِّضَتَ العمى[٣].

كم حصل لك الهوان بالوقوف على باب المخلوقين!! وكم أهانوك وأنت لا ترجع إلى مولاك!!

---

(٤) فإنه إذا مات الولي أبدل الله مكانه آخر. فهم مائة ألف وأربع عشرون ألفاً على عدد الأنبياء لا يزيدون عن هذا العدد ولا ينقصون.

(١) وفي المطبوع: (سهلت) بدل (تخف)، وهما بمعنى متقارب.

(٢) في المخطوط: (لو أطعت)، والصحيح حذف (لو).

(٣) هذا كما يقال: ياليت فلان أصابه العمى قبل أن يرى كذا وكذا.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر ﷺ أنه قال: رأيت فى المنام حورية وهى تقول: أنا لك وأنت لى، فبقيت نحو شهرين أو ثلاثة أشهر لا أستطيع أن أسمع كلاماً إلا تقيَّأت لأجل طيب كلامها.

كفاك من الإدبار أن تفتح عينيك فى هذا الدار، قال الله تعالى: ﴿ولَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١] قدر لك الصحة والمرض والغنى والفقر والفرح والخوف حتى تعرفه بأوصافه.

من صحبك يوماً أو يومين ولم يَرَ منك نفعاً تركك وصحب غيرك، وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم تر فيها نفعاً! فقل لها: ارجعى يا نفسى إلى رضا ربك، طالما وافقتك فى شهواتك، فتبدَّل بعد البطالة الاشتغال بالله تعالى، وبعد الكلام الصمت، وبعد الوقوف بالأبواب الخلوة، وبعد الأنس بالمخلوقين الأنس بالخالق، وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح، اجعل أحوالك ضد ما كنت عليه، اجعل بدل السهر فى معصية الله السهر فى طاعة الله، وبعد الإقبال على أهل الدنيا الإعراض عنهم والإقبال على الله تعالى، وبعد الإصغاء لكلامهم الإصغاء والاستماع لكلام الله عز وجل وذكره، وبعد الأكل بالشره والشهوة الأكل القليل الذى يعينك على الطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

إنما عصى الله من لم يعرف عقابه، وإنما ترك طاعته من لم يعرف ثوابه، فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا، ولو اطلعوا على ما أعد الله لأهل الجنة لما تركوها طرفة عين.

إذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك إليها، وإذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك إلى الله قال رسول الله ﷺ: «**يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» كما تختار لنفسك المآكل الطيبة التى لا ضرر فيها، والزوجة الحسنة لتتزوجها، فكذلك لا تتوارد[١] إلا من يعرفك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى.

أخلاء المرء

واعلم أن لك ثلاثة أخلاء: أحدهما المال: تفقده عند الموت، والثانى: العيال يتركونك عند القبر، والثالث: عملك لا يفارقك أبداً، فاصحب من يدخل معك فى قبرك وتأنس به، فالعاقل من عقل عن الله أوامره ونواهيه.

مثالك كالجُعَل يعيش فى الرَّوْث والعُذْرة[٢] وإذا قرب إليه الورد مات من رائحته فمن الناس من هو جُعَلِىّ الهمة فَرَاشِىُّ العقل، فإن الفَراش لا يزال يرمى نفسه فى النار حتى تحرقه، فكذلك أنت ترمى نفسك فى نار المعصية عمداً، فلو أردت السير إلى الله تعالى لشددت المحزْم فأين الهمة؟ إنما تأكل لتعيش وتعيش لتأكل، فإن فعلت ذلك فمثلك على المذاود[٣] كثير، ومثلك فى الدواب كثير، فإن أسبق الخيل ما

---

(١) هكذا فى الأصل.

(٢) الرَوْث: إخراجات البهائم، والعُذْرة: إخراجات الآدميين.

(٣) المذاود: مكان شرب وإطعام البهائم، وفى المخطوط (المداود) بالدال الأولى بدل الذال. والدال والذال يتعاوران فى لغة العرب.

ضمر(٤). تقول: هذه الليلة أقلل الأكل فإذا حضر الطعام فكأنه حبيب مفارق، ومن لم يرد الله تعالى صلاحه تعبت فيه الأقاويل قال الله تعالى: ﴿**ومن يُرد اللَّهُ فتنَتَهُ فلَن تَمْلكَ لَهُ منَ اللَّه شيئًا**﴾ [المائدة: ٤١].

ما أهربك من الهوان، وما أوقعكَ فيه!! تهين نفسك وتلقيها في مواطن الرّدى(١).

قال بعضهم: كن مع الله تعالى كالطفل مع أمه، كلما دفعته ترامى عليها لا يعرف غيرها، يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات، بل تنتخب لدابتك العلف، وتعامل مولاك بالمحاربة!! وربما قلّبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاضك، وتقعد عند الأكل متربعاً، وربما طولت في الأكل، فإذا جئت إلى الصلاة تنقرها نقر الديك، والوساوس والخواطر الردية تأتيك في صلاتك!! مثال مَنْ هذا حاله كمن نصب نفسه للهدف وقعد والرماح والسهام تقصده من كل جانب، أفما هذا أحمق؟

فما مثالك إذا سمعت الحكمة ولم تعمل إلا بها كمثل الذي يلبس الدرع ولا يقاتل به ألا قد سُمِعَ النداء على سلعتنا فهل مِنْ مشترٍ؟ قيمتك قيمة ما أنت مشغول به، فإن اشتغلت بالدنيا فلا قيمة لك؛ فإن الدنيا كالجيفة لا قيمة لها.

أفضل ما يطلب العبد من الله تعالى أن يكون مستقيما معه، قال الله تعالى: ﴿**اهدنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:٦] فاطلب منه الهداية

---

(٤) قوله (ما ضُمِّر) أي: مُنع من الطعام الكثير حتى يشتد ويستطيع السباق ويحوز فيه.

(١) الرّدى: الهلاك.

والاستقامة، وهى أن تكون مع الله تعالى فى كل حالٍ بالذى يرضى لـك، وهى ما جاء به ﷺ عنه سبحانه وتعالى.

منْ بَذَل لله تعالى صِرْفَ الوُدِّ سقاه الله صِرْفَ الكـرم[١]، مثـال السالك[٢] كمن يحفر على الماء قليْلا حتى يجد الماء بعد التعـب فينبـع، ومثال المجذوب كمن أراد الماء فأمطرت له سحابة فأخذ منها ما يحتـاج إليه من غير تعب.[٣]

إذا أعطيت نفسك كل ما تشتهى وتطلب منك من الشهوات كنـت كمن كان ببيته حية يسِّمنها كل يوم حتى تقتله. لو جعل الله تعـالىَ فيـك الروح من غير نفسٍ لأطعته وما عصيت، ولو جعل الله فيك النفس مـن غير روح لعصيت وما أطعت فكذلك لك تتلون ولكن جعل فيـك القلـب والروح والنفس والهوى كالنحلة جعل فيها اللسع والعسل، العسـل ببـرِّه واللسع بقهره، فأراد الله تعالى أن يكسر دعوى الـنفس بوجـود القلـب ودعوى القلب بوجود النفس.

---

(١) يقال: شراب صرْف أى بحت غير ممزوج، والمراد من بذل الـود الخـالص الـذى هـو كالشراب غير الممزوج سقاه الله شراباً آخر من شرابه تعالى خالصا غير ممزوج وهو الكرم.

(٢) لفظ (السالك) سقط من المخطوط، وهى فى المطبوع.

(٣) السالك: هو الذى يمارس السلوك نحو الكمال، وقد تصيبه وقفة كأن يعجـز عـن تـذوق الطاعة فيسمى حينئذ (الواقف)، فإذا تاب واستأنف فإنه يواصل، وإذا ظل مكانه يسمى (راجعاً). والمجذوب: هو من ارتضاه الله تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهَّره بماء قُدسه؛ فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة مكاسـب ومتاعـب. انظـر [المعجم الصوفى – د/عبد المنعم الحفنى]

يا عبد الله طلب منك أن تكون عبدا فأبيت أن تكون إلا ضدا إقبالك على الله تعالى إفرادك له بالعبادة، فكيف يرضى لك أن تكون عبد غيره؟! فلو أتيتنا لطلب العطاء منا فما أنصفتنا، فكيف إذا أقبلت على مَنْ سوانا؟! وقفت الدنيا فى طريق الآخرة فصرفت عن الوصول إليها، ووقفت الآخرة فى طريق الحق فمنعت الوصول إليه.

إن من لطف الله تعالى بك[1] أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس.

إذا أعطيت الدنيا ومنعت الشكر فيها فهى محنة فى حقك، قال رسول الله ﷺ: ((**قليل الدنيا يلهى عن طريق الآخرة**)).

كان لبعضهم زوجة فقالت له يوماً: لا أقدر أن تغيب عنى، ولا تشتغل بغيرى، فنودى: إذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهى تحب أن تجمع قلبك عليها، فكيف لا أحب أنا أن أجمع قلبك علىّ؟!

كنت مرة عند الشيخ أبى العباس المرسى فقلت فى نفسى أشياء، فقال الشيخ: إن كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك، ثم قال: النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك، فسلّمها إلى ربّها يفعل بها ما شاء، فربما تعبت فى تربيتها فلا تنقاد لك، فالمسلم مَنْ أسلم نفسه إلى الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ**﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) فى المخطوط (لك). والصحيح (بك) كما هو مثبت.

إذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك حتى لا تشتغل بهم عنه، وقطع علائقك عن المخلوقين حتى ترجع إليه.

كم طلب نفسك إلى الطاعة وهى تتقاعد!! إنما تحتاج إلى معالجة نفسك فى الابتداء، فإذا ذاقت المنة جاءت اختياراً، فالحلاوة التى تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة.

مثال: الإيمان فى القلب كالشجرة الخضراء، فإذا ذكرت عليها المعاصى يبست وفرغ مددها، فمن أراد القيام بالواجبات فليترك المحرمات، ومن ترك المكروهات أعين على تحصيل الخيرات، ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها عقله، وأباح له حضرته، ومن ترك استماع ما حرم عليه أسمعه كلامه، ولكن ما أخف القربة التى فيها هوى نفسك عليك، وما أثقل ما ليس فيه هوى، مثاله أن تحج تنفلاً، فإن قيل لك: تصدَّقْ بذلك يشق عليك؛ لأن أمر الحج يُرَى، فللنفس فيه حظ، والصدقة تطوى وتنسى، وكذلك درسك العلم لغير الله تعالى؛ فإنك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك، فإذا قيل لك صلِّ بالليل ركعتين شَقَّ ذلك عليك؛ لأن الركعتين بينك وبين الله تعالى ليس للنفس فيه حظ والقراءة والدرس للنفس فيهما حظ مشاركةِ للناس؛ فلذلك خَفَّ عليها.

قال بعضهم: تاقت نفسى إلى التزويج فرأيت المحراب قد انشق وخرج منه نعل من ذهب مكلل باللؤلؤ فقيل لى: هذا نعلها فكيف وجهها؟ فانقطعت شهوة النكاح من قلبى.

منْ هُيّئت له المنازل لم يرض بالقعود على المزابل[١]؛ فاعمل الأعمال الصالحة بينك وبين الله تعالى سراً ولا تطلع عليك أهلك واجعله مدخرا عنده تجده يوم القيامة؛ فإن النفس لها تمتع بذكر العمل.

صام بعضهم أربعين سنة لم يعلم به أهله، لا تنفق أنفاسك في غير طاعة الله تعالى، ولا تنظر إلى صغر النَّفَس بل انظر مقداره، وإلى ما يعطى الله تعالى فيه للعبد [١]، فالأنفاس جواهر، وهل رأيت أحداً يرمى الجوهرة على مزبلة؟ أفتصلح ظاهرك وتفسد باطنك؟! فمثالك كالمجذوم لبس ثياباً حسنة ويخرج[٢] منه فى الباطن القيح والصديد، فأنت تصلح ما ينظر الناس إليه ولا تصلح الذى هو لربك.

الحكمة قيد المؤمن

الحكمة كالقيد إن قيدت بها نفسك امتنعت، وإن رميتها تسيبت ويخاف عليك، مثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويكون يقطع الثياب، فإذا قيدته استرحت، وإن طرحت القيد فى البيت وخرجت فالضرُّ باقٍ.

أيها الشيخ، قد أفنيت عمرك فاستدرك ما فاتك، قد لبست البياض وهو الشيب، والبياض لا يحمل الدنس.

---

(١) أى: أن من أراد أن يصل بعمله إلى المنازل العالية فى الآخرة لم يرض من نفسه أن يقف فى منازل الدنيا والتعلق بأهلها وحب المدح عندهم بعرض أعماله عليهم رغبة فى الوجاهة وعلو القدر أو غير ذلك.

(١) ففى نفس واحد قد يتحول إنسان من الكفر إلىَ الإيمان، ومن الشقاوة إلى السعادة، وقد يرد عليه من الواردات الإلهية ما يعمِّر له دنياه وآخرته.

(٢) فى المخطوط (تخرج) بالتاء الفوقية، والصحيح بالياء التحتية.

مثال القلب كالمرآة، ومثال النَّفْس[٣] كالنَّفَس، كلما تنفست النفس على المرآة سودتها. قلب الفاجر كمرآة العجوز التى ضعفت همتها أن تجلوها وتنظر فيها، وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها لا تزال مصقولة.

همة الزاهدين فى كثرة الأعمال، وهمة العارفين فى تصحيح الأحوال[١].

أربعة تعينك على جلاء قلبك: كثرة الذكر، ولزوم الصمت، والخلوة، وقلة المطعم والمشرب. أهل الغفلة إذا أصبحوا تفقدوا أموالهم، وأهل الزهد والعبادة تفقدوا أعمالهم، وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله تعالى. ما من نفس يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو حرص أو فاقة إلا وهو يريد أن يختبرك بذلك.

مَنْ طلب الدنيا بطريق الآخرة كمن أخذ ملعقة[٢] ياقوت يغرف بها العَذِرة، أفما يُعَدُّ هذا أحمق؟!

لا تعتقد أن الناس فاتهم العلم بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم.

---

(٣) فى المخطوط (المرآة)، وهو خطأ، والصواب ما أثبته.

(١) الأحوال: هو ما يرد على القلب أو يحل به من كرب أو حزن أو بسط أو قبض، وتسمى الأحوال بالواردات أيضاً. وقيل: الأحوال هى المواهب الفائضة على العبد من ربه، إما واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكِّى للنفس المصفِّى للقلب، وإما نازلة من الحق تعالى امتنانا محضا. انظر [المعجم الصوفى – د/الحفنى – باب الحاء].

(٢) فى المخطوط (معلقة) بتقديم العين على اللام، والصحيح المثبت.

أول ما ينبغي لك أن تبكي على عقلك فكما يقع القحط في الكلأ فكذلك يقع في قلوب الرجال، وبالعقل عاش الناس مع الناس بحسن الخلق، ومع الله باتباع مرضاته.

النعمة الكبرى

إنْ منَّ الله عليك بثلاث فقد مَنَّ عليك بالنعمة الكبرى، الأولى: الوقوف على حدوده[٣]، والثانية: الوفاء بعهوده، والثالثة: الغرق في شهوده[١]، وما سبب استغرابك لأحوال العارفين إلا لاستغراقك في القطيعة، ولو شاركتهم[٢] في الأسفار لشاركتهم في الأخبار، ولو شاركتهم في الفناء[٣] لشاركتهم في الهناء.

ما مثال نفسك وقت الرضا إلا كالبعير المعقول[٤]، فإذا سيبته انطلق، قال رسول الله ﷺ: ((**لقلب ابن آدم أشد تقلباً من القدْرِ على**

---

(٣) أي: أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه، والامتثال لأوامره، والانزجار من محارمه.

(١) الشهود: رؤية الحق تعالى بالحق – أي بواسطة مشاهد آلائه وآثار أسمائه، وتعيُنات صفاته، وتجليات صنعه في الأكوان. [المعجم الصوفي – د/الحفني] مع زيادة.

(٢) الواو ساقطة من المخطوط، وهي في المطبوع.

(٣) الفناء: هو تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية –كما ورد في الحديث: ((تخلقوا بأخلاق الله. ولا تتفكروا في ذات الله)) أو كما قال ﷺ – دون الذاتية، فلكما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها – فإذا ترك البخل وتخلق بصفة الكرم صار كريماً والكرم صفة من صفات الله. فصار متخلقاً بأخلاق الله – فيكون الحق سمعه وبصره كما يقول الحديث عن رسول الله ﷺ: ((كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)) [المعجم الصوفي – د/الحفني] مع زيادة توضيح.

(٤) البعير المعقول: هو البعير المربوط.

النار إذا غلت))[٥] فكم ممن كان[٦] فى جمع واحد مع الله تعالى وأتته[٧] الفرقة فى نفس واحد[٨]!

وكم من بات فى طاعةٍ ما طلعت عليه الشمس حتى دخل فى القطيعة، فالقلب بمثابة العين، والعين لا ترى بها كلها، بل بمقدار العدسة منها، فالقلب كذلك لا يراد منه اللحمانية، بل اللطيفة التى أودعها الله تعالى فيه وهى المدركة، وجعل القلب معلقاً فى الجانب الأيسر كالدلو، فإن هب عليه هوى الشهوة حركه، وإن هب عليه الظلمة جركة، فتارة عليه يغلب خاطر الهوى، وتارة عليه يغلب خاطر التقى حتى يعرفك مرة منته ومرة قهره، فمرة يغلب عليك خاطر التقى ليمدحك، ومرة يغلب عليك خاطر الهوى ليذمك، فالقلب بمثابة السقف، فإذا أوقدت فى البيت ناراً صعد الدخان إلى السقف فسوَّده، فكذلك دخان الشهوة إذا أنبت فى البدن صعد دخانها إلى القلب فسوَّده.

---

(٥) رواه الإمام مالك فى "الموطأ" بمعناه، وهو فى "المسند" للإمام أحمد، وقد قال الشاعر: * ما سمى القلب إلا من تقلّبه * وفى الحديث: ((قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)) ، وفى الحديث: ((يامصرف القلوب صرّف قلبى إلى طاعتك)).

(٦) فى المخطوط (بزكان)، والصواب ما أثبته لأجل صحة المعنى.

(٧) فى المخطوط بدون واو، وإثباتها إصلاح للمعنى.

(٨) الجمع والتفرقة: إذا قلت الله ولا سواه فقد جمعت – أى جمعت نفسك وقلبك على الله ولم تر غيره – وإذا قلت الدنيا والآخرة فقد فرّقت – أى إذا انشغلت بهما فقط وجعلتهما هما الباعثين لك على الفعل والترك أو التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة أو التعلق بالآخرة والحرص على دخول الجنة دون إبراز الطاعة لنيل رضا الله بقطع النظر عن الجنة والنار فإن الجنة ودخولها تحصل تبعا لذلك، والنجاة من النار تحصل تبعاً لذلك. انظر [المعجم الصوفى – د/الحفنى] مع زيادة توضيح.

إذا ظلمك القوى فارجع إلى القوى ولا تخف منه فيسلط عليك[١]، مثال من يشهد الإضرار من المخلوقين كمن ضرب الكلب بحجر فأقبل الكلب على الحجر فعضه ولا يعرف أن الحجر ليس بفاعل، فيكون هو والكلب سواء، ومثال من يشهد الإحسان من المخلوقين كالدابة إذا رأت سائسها بصبصت بعينها، ويدنوا إليها مالكها فلا تلقى إليه بالاً، فإن كنت عاقلاً فاشهد الأشياء كلها من الله عز وجل ولا تشهدها من غيره.

التائه عن السبيل

ليس التائه من تاه فى برية، بل التائه من تاه عن سبيل الهدى، يطلب العز من الناس ولا يطلبه من الله تعالى[١]، أخطأ الطريق ومن أخطأ الطريق لم يزده سيده إلا بعداً، فهذا هو التائه حقاً[٢].

إذا قلت: "لا إله إلا الله" طالبك بها وبحقها، وهو ألا تنسب الأشياء إلا إليه.

مثال القلب إذا سلمته إلى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما، ومثال النفس إذا سلمتها للقلب كمن أسلم نفسه إلى عوَّامٍ قوى

---

(١) ورد عن سيدنا عمر أنه مر بقومٍ قد طلع عليهم أسد مفترس، فخافوا ولجأوا إلى سيدنا عمر يطلبون منه النجدة، فأمسك بأذنه فانصرف عنهم، فقال لهمك لو لم تخافوا منه لم يسلط عليكم. وفى هذا تذكرة لكل إنسان ألا يخاف من ذى سطوة أو جبروت وأن يقوى قلبه عند ملاقاته فلا يسلطه الله عليه، والحكمة فى ذلك والله أعلم أنه لما خاف من غير الله وكله الله إليه. ولما اعتصم بالله كان هو المدافع عنه والذى يدرأ عنه بطشه وتسلطه وقهره.

(١) وفى الحديث: ((لعن الله من تعزز بغير الله)) أى أنه يتعزز به ولا يرى أن الله هو الذى اعزد به وأن الله هو الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء، والله أعلم.

(٢) قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ الآية.

فسلما، فلا تكن كمن أسلم قلبه إلى نفسه. هل رأيت بصيرا قلد نفسه إلى أعمى يقوده؟

إن أمكنك أن تصبح وتمسى وما ظلمت أحداً من العباد فأنت سعيد، فإن لم تظلم نفسك بما بينك وبين الله تعالى فقد كملت لك السعادة، فاغلق عينك وشد أذنيك، وإياك إياك وظلم العباد[٣].

العقول الصغيرة

ما مثالك فى صغر عقلك وكونك لا تعلم ما عليك من الملابس كالمولود تكسوه أمه أحسن الملابس وأفخرها وهو لا يشعر، وربما دنّسها ونجّسها فتسرع إليه وتكسوه ثياباً أخرى لئلا يراه الناس كذلك[١] فتغسل ما تنجس، ألا يعلم ما تفعل معه لصغر عقله؟ عن الشيخ أبى الحسن ﷺ أنه قيل له: يا علىّ طهّر ثيابك من الدنس تحظى بمدد الله فى كل نَفَس، فقلت: وما ثيابى. فقيل لى: إن الله كساك حُلّة المعرفة، ثم حُلّة المحبة، ثم حُلّة التوفيق، ثم حُلّة الإيمان، ثم حُلّة الإسلام، فمن عرف الله تعالى صغر لديه كل شيء.

من أحب الله هان عليه كل شيء، ومن وجد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أمن كل شيء، ومن أسلم لله قلما يعصيه، وإن عصاه

(٣) وفى الحديث القدسى: ((يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...))

(١) فالله تعالى كذلك يغسل الحوبة ويقبل التوبة.

اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره، قال: ففهمت من ذلك معنى قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهّرْ﴾ [المدثر: ٤].

يا من عاش ما عاش تخرج من الدنيا وما ذقت ألذ شيء فيها وهي مناجاة الحق سبحانه وتعالى ومخاطبته لك، فأنت ملقىً جيفة بالليل، فإن دُفعت عنه فاستغث بالله وقل: يا ملائكة الله، ويا رسل ربي فاتتني الغنيمة التي نالوها من لذة المناجاة ووداد المصافاة.

إذا كان العبد معجباً بطاعته متكبراً على خلقه ولا يوفّي حقوقهم ممتلئاً عظمة يطلب من الخلق أن توفّي حقوقه ولا يوفّي حقوقهم، فهذا يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، وإن كان إذا فعل معصية تراه باكياً حزيناً منكسراً ذليلاً يتطارح على أرجل الصالحين ويزورهم معترفاً بالتقصير، فهذا يُرْجَى له حُسن الخاتمة.

الدال على الله نادر

إن طلبت قارئاً وجدت مالا يحصى، وإن طلبت طبيباً وجدت كثيراً، وإن طلبت فقيهاً وجدت مثل ذلك، وإن طلبت مَنْ يدلّك على الله تعالى ويعرّفك عيوب نفسك لم تجد إلا قليلاً، فإن ظفِرتَ به فأمسكه بكلتا يديك.

إن أردت أن تُنْصَر فكن كلّك ذلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ ببدْرٍ وأَنتُمْ أذلّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وإن أردت أن تعطَى فكن كلك فقرا ﴿إنّما الصّدَقَاتُ للْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة:٦٠].

تكون فى وسط النهر وأنت عطشان!! تكون معه فـى الخضـرة وأنت تطلب الوصال!![١] كأن العباد لم يتوصلوا إلى الله تعالى إلا بكثرة المآكل والمشارب أو قيل لكم: هذه توصلكم إلى طريق الآخرة ولكن مـا أرخص نفسك عليك! لولا هوانها عليك ما عرضتها لعـذاب الله تعـالى، وما[٢] أغلاها عليك فى طلب الدنيا وجمعها. العجب كل العجـب ممـن يسأل المنجم عن حاله، ولا يسأل كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ.

إذا ضعفت عن العبادة فرقّع عبادتك بالبكاء والتضرع، وإذا قيـل لك: مَنْ تبكى عليه؟ فقل: عبد عُوفِىَ فأنفق عافيته فى معصية الله تعالى.

إذا نمت على تخليط رأيت التخليط فى منامك[١]، بل ينبغى لك أن تنام على طهارة وتوبة فينام قلبك بنوره، ولكن من كان فى نهاره لاغيـاً كان فى ليله عن الله تعالى ساهيا.

---

(١) يعنى: أن الله تعالى قد فتح لعباده الأبواب ويسر لهم سبل الفلاح وجعل الخير كثيـراً لمـن أراد قصده وجعل النفحات فى الدهر كثيرة فقال النبى ﷺ: ((إن لله فى أيام دهـركم لنفحـات ألا فتعرضوا لها)) ولكننا رغم وقوفنا فى هذا النهر لم نشرب إلا القليـل، ورغـم وجودنـا وسـط الخضرة التى هى نور الإيمان والمعرفة واليقين...لم نتعرض لذلك غافلين عنه.

(٢) فى المخطوط (ومن)، والصحيح (وما) كما أثبته، فـ(ما) تأتى للتعجب دون (من).

(١) فالرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فالرسالة مدتها (٢٣) عاما منها (٦) أشهر كان قبلها يرى النبى فيها الرؤى فإذا ضربنا (٢٣) فى (١٢) شهراً تكـون الحصـيلة (٢٧٦) شهرا. فإذا قسمناها على (٤٦) جزءا يكون الناتج (٦) أشهر التى هى مدة ما قبل الوحى مـن الرؤى التى كانت تقديما للنبوة فإذا امتن الله على عبده جعل له من الرؤى مبشرات ومنـذرات. وكل إناء بالذى فيه ينضح، والرؤيا تسمى حلماً إذا كانت من الشيطان وقد تكون حديث نفـس بما يتعلق به الإنسان فى اليقظة. فمن كان تعلقه بالله تعالى لا شك أنه يواليه بالرؤى الصالحة ويؤيده ويوجّهه بها ويزجره أيضاً عما يقترفه من حرامٍ فى اليقظة.

إذا رأيت وليا لله تعالى فلا يمنعك إجلالك أن تقعد بين يديه وتبرك عليه. واعلم أن السماء والأرض لتتأدب مع الولى كما يتأدب معه بنو ادم[٢].

من فرح بالدنيا إذا جاءته فقد ثبت حمقه، وأحمق منه مَنْ إذا فاتته حزن عليها فمثاله كمن جاءته حية لتلدغه ثم مضت وسلمه الله تعالى منها فحزن عليها إذ لم تضره.

من علامات الغفلة وصغر العقل أن تعول هماً قد يقع أو[٣] لا وتترك هماً لابد من وقوعه، فتصبح تقول: كيف يكون السفر غداً؟ وكيف يكون فى هذه السنة؟ فألطاف الله تعالى من حيث لا تعلم، والشك فى الرزق شك فى الرازق.

ما سرق السارق وما غصب الغاصب إلا رزقه، فما دمت حياً لا ينقص من رزقٍ شيئاً.

كفى بك جهلاً أن تعول الهم الصغير وترك الهم الكبير. عُلْ هَمَّ أن تموت مسلماً أو كافراً. عُلْ هَم أنت شقى أم سعيد؟ عُلْ هَمَّ النار الموصوفة بالأبدية التى لا انتهاء لها. عُلْ هم أخذ الكتاب، هل باليمين أم بالشمال؟ هذا هو الهم الذى يُعَال.

---

(٢) فقد ورد فى الحديث أن الملائكة ومخلوقات الله تعالى حتى الحيتان فى البحار لتستغفر لطالب العلم وهو من جملة الأولياء حيث إنه يعمل بعلمه، فما بالنا بالأولياء الكبار الذين هم بركة وضعها الله فى أرضه وتحت سمائه!!

(٣) فى المخطوط (هما يقع أم)، والصحيح ما أثبته.

لا تغلْ همّ لقمة تأكلها أو شربة تشربها، أيستخدمك الملك ولا يطعمك؟! أتكون فى دار ضيافته وتضيع؟! إن أحب ما يطاع الله تعالى به الثقة به.

أن تكون خاملاً فى الدنيا خير لك من أن تكون خاملاً يوم القيامة هذه صفاوة العمر وغربلته[١]. يا من لا يأكل الحنطة إلا مغربلة لابد لك أن يغربل عمرك، فلا يبقى لك إلا ما أخلصت فيه وما عدا ذلك يرمى، وأكثر ما يخاف عليك المخالطة للناس، ولا يكفيك أن تسمع بأذنيك بل تشاركهم فى الغيبة، وهى تنقض الوضوء، وتفطر الصائم.

كفى بك جهلاً أن تغار على زوجتك ولا تغار على إيمانك.

كفى بك خيانةً أن تغار عليها لأجل نفسك ولا تغار على قلبك لأجل ربك.

إذا كنت تحفظ ما هو لك ألا تحفظ ما هو لربك؟[١] إذا رأيت من يصبح مهموماً لأجل الرزق فاعلم أنه بعيد من الله تعالى؛ فإنه لو قال لك مخلوق لا تشتغل غداً بسببٍ وأنا أعطيك خمس دراهم وثقت به وهو مخلوق فقير، أفما تكتفى بالغنى الكريم الذى ضمن لك رزقك مع أجلك؟ أنشد إنسان:

إذا العشرون من شعبان ولت فوَاصِلْ شربَ ليلك بالنهار

---

(١) أى: الذى استخلصته من عمرى وعبوديتى له وتأديبى لنفسى وإصلاحها بما منَ على ربى.

(١) ولو حفظ الواحد منا ما لربه لحفظ الله له ما لنفسه كما جاء فى حديث النبى ﷺ: ((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)).

ولا تشــــرب بأقـــداح صـــغار فقد ضاق الزمان على الصغار[٢]

ومعناه عنده: إذا مضت العُشرون من شعبان فقد قرب رمضـــان يقطع علينا الشراب.

ومعناه عند أهل الطريق: إذا خلفت أربعين سنة[٣] وراء ظهـــرك فواصل العمل الصالح بالليل والنهار؛ لأن الوقت قد قرب إلـــى لقـــاء الله عز وجل، فليس عملك كعمل من كان شاباً ولم يضيع شـــبابه ونشـــاطه، وأنت ضيعت شبابك ونشاطك.

هَبْ أنك تريد الجدّ ولم تساعدك القوى على قدر حالك[٤]، ورقّـــع الباقى بالذكر؛ فإنه لا شىء أسهل منه يمكنك فى القيام والقعود والمرض والاضطجاع، فهو أسهل العبادات، وهى التى قال رســـول الله ﷺ فيهـــا: ((**وليكن لسانك رطباً بذكر الله عز وجـــل**)) وأى دعاء أو ذكر أسهل عليك فواظب عليه فإن مدده من الله تعالى، فما ذكرته إلا ببره وما أعرضـــت عنه إلا بسطوته وقهره، فاعمل واجتهد، فالغفلة فى العمل خير من الغفلة عنه[١].

---

(٢) البيتان من بحر الوافر. ووزنه (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) مرتين.

(٣) لأن الحديث يقول: ((أعمار أمتى بين الخمسين والستين)) هذا فى الغالب، فلا يعترض عليه – وحاشاه أن يعترض عليه – بأن بعض المسلمين يعيش فوق السبعين أو إلى التسعين.

(٤) وكما قالوا: "مالا يُدرك كله لا يُترك كله"

(١) فكما قال سيدى ابن عطاء الله فى "الحِكَم": فربما نقلك من ذكرٍ مع الغفلة إلـــى ذكـــرٍ مـــع الحضور.

ترى حالك حال الزاهدين في الفضل لأن الطالب لا ينقطع عن الأبواب، بل تجده واقفاً عليها، فمثاله كالثكلى التي مات ولدها، أتراها تحضر الأعراس والأفراحَ والولائم؟ بل مشغولة بفقد ولدها، وكم يرسل المولى الصنائع[٣] وأنت عبد شرود، فمثالك كالطفل في المهد كلما يحرّك نام، لو أرسل لك الملك خلعة[٤] ما أصبحت إلاّ على بابه، فاغتنم أوقات الطاعات واصبر عليها.

إن أردت أن تعصيه فاطلب مكاناً لا يراك فيه واطلب قوة من عنده تعصيه بها ولن تستطيع شيئاً من ذلك؛ لأن الكل من نعمه.

أفتأخذ نعمه وتعصيه بها؟! بل تتيقن في المخالفات مرة بالغيبة ومرة بالنميمة ومرة بالنظرة وما يبنيه في سبعين سنة تهدمه في نَفَسٍ واحد.

أيا هادم الطاعات ما سلط الله عليك الفاقة إلا لترفع حاجتك إليه ولتجتمع عليه[١]، فيا من يعارض نفسه في الشهوات والمعاصي ليتك أعطيتها ذلك في المباحات، فمن عاملته بالدنايا وعاملك بالمنن كيف لا تحبه؟ من عاملك بالكرم وعاملته باللؤم كيف لا تحبه؟ ما أحد يصحبك فينفعك وكل من يصحبك إنما يصحبك لنفسه، إنما تصحبك الزوجة لتجني

---

(٣) يعني: صنائعه التي هي تدعوك وتجذبك إلى طاعته والحضور معه والركون إليه والاعتصام به والاستقامة معه.

(٤) الخلعة: ما يعطيه الإنسان لغيره من الثياب.

(١) فمن أسمائه تعالى: "الصمد" أي الذي يلجأ إليه في الحوائج، فهو يحب أن يلجأ إليه وأن يسئل.

منك مطايب العيش والملابس، وكذلك الولد، يقول: أشد بك ظهرى، فإذا كبر ولم يبق فيك قوة ولا بقية رفضوك. لو انقطعت عن الخلق لفتح لك باب الأنس به؛ لأن أولياء الله قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة فسمعوا من الله تعالى وأنسوا به، فإن أردت أن تستخرج مرآة قلبك من الأكدار فارفض ما رفضوا وهو الأنس من الخلق، وانسَ[٢] جرى لفلان وأنفق فلان[٣]، ولا تقعد على أبواب الجلوات[٤]، فمن استعد استمد فإذا هيأ لك الاستعداد[٥] فتح لك باب الاستمداد، ومَنْ أحسنَ قَرْعَ الباب فُتِحَ له، فرُبَّ طالب أساء قَرْع الباب فَرُدَّ لسوء أدبه ولم يُفتح له.

وأكثر ما أتى العباد من قلة الصمت، فلو تعرفت[١] إلى الله تعالى لسمعت مخاطبته على الدوام فى سوقك وفى بيتك، ولكن من استيقظ شهد، ومن نام لم يسمع أذنا قلبه ولم تشهد بصيرته، ولكن الحجاب مرخى.

ولو أن العباد تفطنوا لم يُقبلوا إلا على الله تعالى، ولم يجلسوا إلا بين يديه ولم يستفتوا غيره لقوله ﷺ: ((**استفت قلبك وإنْ أفتوك**))[٢] لأن

---

(٢) فعل أمر من النسيان.

(٣) فى المخطوط (لفلان)، والصحيح ما أثبته.

(٤) الجلوات: بالجيم المعجمة عكس الخلوات، أى: لا تقعد إلى الناس كثيراً، ولكن عليك بالخلوات بالخاء المعجمة حتى يحصل لك الأنس، وحتى تفعل هذا لا تفعله بنفسك ولكن لابد من شيخ ولىّ عالم بالشريعة يربيك ويعرفك كيف تسلك الطريق مع الله.

(٥) فى المخطوط (للاستعداد)، والصحيح بالألف بدل اللام.

(١) فى المخطوط (تعردت)، والصحيح المثبت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى "المسند".

الخواطر الإلهامية تأتى من الله تعالى، فهى موافقة، وربما أخطأ المفتى، والقلب لا يقبل الخطأ وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة[٣] إنما يستفتى عالم، ولا علم لمن غفل عن الله تعالى، كانوا - رضى الله عنهم - لا يدخلون فى شيء لنفوسهم ولكن من الله وبالله، فإن المسافة بعدت بين الأولياء والصحابة فجعلت الكرامات خبراً لما فاتهم من قرب المتابعة.

من الناس من يقول: إن الأولياء لهم الكرامات والصحابة لم يكن لهم ذلك، بل والله كانت لهم الكرامات العظيمة بصحبتهم له ﷺ، وأى كرامة أعظم منها؟

الصلاة النافعة

واعلم أن صلاةً لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** [العنكبوت:٤٥] وانت تخرج من الصلاة ومناجاة الحق سبحانه وتعالى فى قوله تعالى **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة:٥] ومناجاة الرسول ﷺ فى قوله: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، وهذا فى كل صلاة، ثم تخرج إلى الذنوب بعد هذه النعم التى أنعم الله بها عليك.

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ انه كان يحضر عنده فقهاء الإسكندرية والقاضى فجاءوا مختبرين الشيخ فتفرس فيهم فقال: يا فقهاء هل صليتم قط، فقالوا: يا شيخ وهل يترك أحد الصلاة قط؟ فقال: هم[١] قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ**

---

(٣) فى المخطوط (الظاهر) بالظاء المشالة، والصحيح المثبت.

(١) أى: هم الذين قال الله تعالى فيهم "إلا المصلين".

الخيرُ منوعا إلَّا المُصلِّين﴾ [المعارج:١٩-٢٢] فهل أنتم كذلك إذا مسكم الشر لا تجزعون وإذا مسكم الخير لا تمنعون؟ فسكتوا جميعاً، فقال لهم: الشيخ: فما صليتم قط هذه الصلاة.

إن تفضل عليكم بالتوبة فتُب إليه، فمن فضله سبحانه أنك تذنب سبعين سنة فتتوب إليه فى نَفَسٍ واحد فيمحو ما عملته فى تلك المدة.

التائب من الذنب كمن لا ذنب له[٢]، وكلما ذكرت طاعة فرح، قال لقمان الحكيم: المؤمن له قلبان يرجو بأحدهما ويخاف بالآخر يرجو قبول عمله ويخاف ألاَّ يُقبَل منه، فلو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدل، من أراد الجمع على الله فعليه بالقيام بأوامر[٣] الله.

إذا اطلعت على زوجتك بخيانة فإنك تغضب عليها، فكذلك نفسك[٤].

أسباب دخول النار

سُئِلَ رسول الله ﷺ: ((**ما أكثر ما يدخل الناس النار؟**[١])) فقال عليه الصلاة والسلام: ((**ألا هو**[٢] **الفم والفرج**)) غلطوا والله فى النواح[٣] على زوجة أو زوج أو ولد، بل كان حقهم أن يقيموا النوائح على فقدانهم تقوى

---

(٢) وهو نص حديث عن النبى ﷺ أخرجه الإمام ابن ماجه فى "السنن".

(٣) هذا الموضع مطموس بالمخطوط، والمثبت من المطبوع.

(٤) اى: ينبغى أن تكون نفسك كذلك تغضب لخيانتها اوامر الله ونواهيه.

(١) فى المخطوط (الجنة الناس) وهو سهو من الناسخ، فالحديث مشهور بهذا اللفظ المثبت.

(٢) قوله (ألا هو) هو الموجود بالمخطوط، والمشهور من نص الحديث (الأجوفان) كما أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما.

(٣) فى المخطوط (النوانح)، والظاهر ما أثبته.

الله من قلوبهم، تقهقه بالضحك كأنك قد جاوزت الصراط وعبرت النيران.

إن لم يكن بينك وبين الله تعالى ورع يحجزك عن محارم الله إذا خلوت، وإلا فضع التراب على رأسك لقوله ﷺ: ((**من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله إذا صلى لم يعنِ الله بشيء من عمله**)).

لا شيء يخجلك يوم القيامة مثل درهم تنفقه في حرام.

ليس الشأن فيمن يرفق بك[٥] إذا وافقته، بل الشأن فيمن يرفق بك إذا خالفته[٦].

ومما يخاف عليك موالاة الذنوب ليستدرجك فيها ويمكنك منها، قال الله تعالى: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [القلم:٤٤] عن كانت معك عناية منه ينفعك القليل، وإن لم تكن لك عناية منه لم ينفعك الكثير[١].

---

(٥) سقط لفظ (بك) من المخطوط.

(٦) وهذا قريب من قول بعض أوليائه الكبار: لا يكون الولي ولياً حتى يستفيد منه عدوه من حيث لا يدري؛ وذلك بالدعاء له بظهر الغيب بالهداية، وفي صنع الحيلة لجذبه إلى الإيمان إن لم يكن مسلما، أو إلى الطاعة إن كان مسلماً إلى غير ذلك مما يفتح الله به على أوليائه بصدق المعاملة مع الله.

(١) والعناية: قد تكون رحمة مدخرة في الآخرة، وكما ورد في الحديث إن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا شبراً فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا شبر فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها فذلك سابق العلم، ودخوله الجنه بعناية الله تعالى أسأل الله حسن الخاتمة.

لو كُشف لك الحجاب لرأيت كل شيء ناطقاً مسبحا لله تعالى، ولكن النقص فيك و الحجاب منك.

ما أكثر احترازك على بدنك، وما أرخص دينك عليك!

لو قيل لك الطعام مسموم لامتنعت منه ثم حلف لك بالطلاق أنه ليس بمسموم لتوقفت عنه. لو غسلت الوعاء الذى هو فيها[٢] مراراً لنفرت نفسك منه، فلِمَ لا تكون كذلك فى دينك؟ وكم لله عليك من أياد أكثر من أمك!! إنها إذا أخذتك وأنت صغير فتلبسك أحسن الملابس، فإن وسختها تخلع عليك لباساً آخر فى الوقت، وأنت تأتى إلى مملكة مزينة ليس فيها موضع شبر إلا ويصلح للسجود عليه[٣]، تكشف ثيابك وتوسخها بالمعصية، هكذا فعلك تجلى عليك بالمحاسن فتجعل فيها ما يكدرها من المعصية.

ليس كل من صحب الأكابر اهتدى بصحبتهم، فلا تجعل صحبة المشايخ علة فى أمنك، فمن اغتر بالله فقد عصاه؛ لأنك قد أمنت عقوبته كما يقول الجهال: صحبت سيدى فلاناً ورأيت سيدى فلاناً، ويدعون دعاوى كاذبة باطلة، بل كان ينبغى لهم أن تزيدهم صحبة المشايخ خوفاً ووجلا، فقد صحبت الصحابة رسول الله ﷺ وكانوا أكثر وجلاً ومخافة.

---

(٢) فى المخطوط لفظة (به) فى هذا الموضع، وهو سهو من الناسخ.

(٣) ففى الحديث: «جُعلتْ لىَ الأرض مسجداً وطهوراً» أى باعتبار أصل خلقتها، فلا يجوز بعد تنجيسها بشىء من النجاسات مثلاً.

ربما كان من الغنى دفعاً والفقر جمعاً؛ لأن الفاقة[١] تحوجك أن تتضرع إلى الله تعالى، ولفَاقة تجمعك عليه خير من غنىً يقطعك عنه.

كما أُمرت أن تُعْرِض عن المعصية أمرت أن تعرض عمَّن عصى وتدعو له في الغيبة، والناس اليوم على العكس، وما عسى أن ينفعك صومك وصلاتك وأنت تقع في عِرض أخيك المسلم.

تجديد الإيمان

قوله ﷺ: ((**جددوا إيمانكم بقول: لا إله إلا الله**)) فيدل ذلك على أنه تحصل له غبار المعصية ودنس المخالفة، وما كل دنس يطهره الماء رُبَّ دنسٍ لا يطهره إلا النار كالذهب إذا كان فيه الغش[٣]، فكذلك العصاة من هذه الأمة، لا يصلحون لدخول الجنة حتى تطهرهم النار.

لا تحسد إلا عبداً قد لُفَّ في ملابس التقوى. هذا هو العيش، وما أطيب عيش المحب مع حبيبه إذا لم يطلع عليه رقيب!! فإن أحب أن يطلع عليه رقيب فما صدق في حبه، وكل من أراد أن يعلم أحداً بحاله فقد خُدِعَ. لا تكن كأرباب الدنيا الذين طلقتهم الدنيا، بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل أن تفارقهم، فمثالك إذا آثرت الدنيا على الآخرة كمن هو له زوجتان إحداهما عجوزخائنة، والأخرى شابة وفَيَّة، فإذا آثرت العجوز الخائنة على الشابة الوفية أفما تكون أحمق؟

ربما قضى عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب، فإياك أن تسقي قلبك بالرذائل كالغيبة والنميمة والكلام السيئ والنظر إلى ما لا

---

(١) الفاقة: الفقر.

(٣) يعني: إذا خلط بغيره من المعادن كالنحاس مثلاً فإنه يكون مغشوشاً غير خالصٍ.

ربما قضى عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب، فإياك أن تسقى قلبك بالرذائل كالغيبة والنميمة والكلام السيئ والنظر إلى ما لا يحل وغير ذلك؛ فإن القلب لا يحجبه ما طرح منه[١]، وإنما يحجبه ما أقام فيه، فاستنارة القلب بأكل الحلال والذكر وتلاوة القرآن، وصونه عن النظر فى الكائنات المباحات والمكروهات والمحرمات، فلا تطلق صائد بصرك إلا لمزيد علم أو حكمة، عِوَضَ ما تقول هذه المرأة صبية قل عينى بها رمد.[٢]

يكون بك حب الرياسة والجاه والدنيا وغيرها وتقول: ما يجذب الشيخ قلوبنا، ولكن قل: العائق منى.

لو استعددت[٣] فى أول يوم لم تحتج إلى حضور مجلس ثان، وإنما احتجت إلى التكرار لقوة صدأ قلبك حتى تكون لكل جلسة صقلة عليك بالحوالة[٤] على مولاك، واترك من لا يستطيع أن ينفع نفسه، اقطع يأسك من الخلق ووجِّه رجاءك للملك الحق، وانظر ماذا صنع معك إلا جوداً وإحساناً، وانظر ما صنعت معه فلم تر إلا جفاءً وعصياناً.

ما أكثر موالاتك للمخلوقين وما أقل موالاتك لله!! جوارحك نعاجك وقلبك هو الراعى، والله هو المالك فإن رعيتها فى المرعى الخصيب

---

(١) أى: ما طرح منه من الخصال الذميمة كالكبر والعجب، وإنما يحجبه ما أقام فيه من هذه الخصال.

(٢) أى : قل هذا لنفسك، فإن العين إذا زُيِّن لها النظر إلى الحرام فرأت الحرام جميلاً فإنها تكون معلولة وبها آفة كالرمد لأنها لم تبصر الشىء على حقيقته ورأت المعصية حسنةً.

(٣) سقطت لفظة (لو) من المخطوط، وإثباتها لازم لكمال المعنى.

(٤) أى: بالتحول إليه والملازمة له.

حتى أرضيت المالك استوجبت الشكر من المالك، وإن رعيتها في المرعى الوخيم[١] حتى عجف[٢] أكثرها ثم جاء الذئب فأخذ بعضها استوجبت العقوبة من المالك، فإن شاء انتقم منك، وإن شاء عفا عنك فجوارحك إما أبوابٌ إلى الجنة وإما أبوابٌ إلى النار، فإن صرفتها فيما يرضاه كنت ساعياً في طريق الجنة، وإلا كنت ساعياً في طريق النار.

فهذه موازين الحكمة فَزِنْ بها عملك كما تزن الأشياء المحسوسات فإن أردت أن تعرف كيف تمر على الصراط فانظر حالك في الإسراع إلى المساجد، فحريٌّ بأن يكون الذي يأتي المساجد قبل الأذان أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف، والذي يأتي في أول الوقت يمر عليه كأجاويد الخيل، وها هنا صراط الاستقامة لا يشهد، ولكن تشهد القلوب، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ [الأنعام:١٥٣] ولم يشر إلا إلى الموجود، فمن أضاء له الطريق تبعها، ومن كانت طريقته مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيراً، فإن كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك فقيّد من الآن ما أطلقت. قال رسول الله ﷺ: "**يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**[١]" وذلك لأنهم سبقوا في الدنيا بالعبادة، وأنت تترك الجماعة وتصلي وحدك فإذا صليت نقرتها نقر الديك، وهل يهدى للملك إلا ما حَسُن وانتخب؟ فما

---

(١) يقال: بلدة وخيمة إذا لم توافق ساكنها – انظر "مختار الصحاح" – فكذلك إذا رعيت جوارحك فيما لا يناسب ما خلقت له من العبادة والطاعة فإنك تفسدها بذلك، هذا معنى كلامه رحمه الله.

(٢) قوله: (عجف) أي صار ضعيفاً، فالعجف: الهُزَال – انظر "المختار".

(١) أخرجه الإمام الترمذي في "السنن"، وغيره.

سبق الفقراء إلى الجنة إلا لأنهم سبقوا فى الدنيا إلى خدمة المولى، والمراد بالفقراء الصُبَّر، الذين صبروا على مسِّ الفاقة حتى إن أحدهم ليفرح بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء[٢]، فدخول الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء يدل على صبرهم على الفاقة.

كفى بك جهلاً أن تتردد إلى مخلوق وتترك باب الخالق، فقد ارتكبت المعاصى من كل جانب، أفلا تكون محزوناً على نفسك؟!

كيفية الصحبة

فالعجب كل العجب من عبدٍ يقبل على صحبةٍ ولا يجد الشر إلا منها، فإن قيل: كيف صحبتك لله؟ فاعلم أن صحبة كل شىء على حسبه، فصحبة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وصحبة الملكين بأن تُملى عليهما الحسنات[٣]، وصحبتك للكتاب والسنة والعمل بهما، وصحبتك للسماء بالتفكر فيها، وصحبتك للأرض بالاعتبار بما فيها وليس من لازم الصحبة وجود الرتبة[٤]، وبلغنى[٥] فى صحبة الله صحبة أياديه ونعمه، فمن صحب النعم بالشكر، وصحب البلايا بالصبر، والأوامر بالامتثال، والنواهى بالانزجار[١]، والطاعة بالإخلاص فقد صحب الله

---

(٢) وربما رأينا هذا فى أيامنا هذه عندما يقول بعض الفقراء إذا حلت به حاجة: "ما ضاقت إلا وفرجت". ويقول هذا فرحاً مستبشراً بالفرج.

(٣) أى: أن تفعل الحسنات فيقومون بالتالى بكتابتها فى صحيفة الحسنات.

(٤) أى: التساوى فى الرتبة بين الصاحب والمصاحب.

(٥) يعنى: بلغه عن مشايخه فى معنى ذلك، ولعلها (فالمعنى) أى المطلوب والمقصود، وهى كذلك فى المطبوع أيضاً.

(١) أى: النفور والهروب منها.

تعالى. فإذا تمكنت الصحبة كانت خُلَّةً. إياك أن تقول: ذهب الخير وطوى بساطه، فلسنا نريد من يُقنّط الناسَ من رحمة الله ويُؤيِسهم من الله، ففي زبور داود عليه السلام: أرحم ما أكون بعبدى إذا أعرض عنى، فَرُبَّ مطيع هلك بالعجب، ورُبَّ مذنبٍ سبقت له السعادة بسبب كسر قلبه.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر قال: رأيت بالإسكندرية عبداً مع سيده وعليهما لواء قد طبق ما بين السماء والأرض، فقلت: يا ترى هذا اللواء للسيد أو للعبد؟ فتبعتهما حتى اشترى له سيده حاجة وفارقه، فلما ذهب العبد ذهب معه اللواء، فعلمت أنه ولىٌّ من الأولياء فجئت إلى سيده فقلت له: أتبيعنى هذا العبد؟ فقال: لماذا؟ فما زال بى إلى أن ذكرت أمره، فقال: يا سيدى، والذى تطلبه أنت أنا أولى به، وأعتقه، وكان ولياً كبيراً، فمنهم من يعرف الأولياء بالشم من غير وجود طيبٍ، ومنهم من يعرف بالذوق، إذا رآه ذاق طعم حلاوة فى فمه[٢]، وإذا رأى صاحب قطيعة[٣] ذاق مرارة فى فمه، فمن لم يترك المحرمات لم ينفعه القيام بالواجبات. من لم يختم[٤] لم ينفعه الدواء.

ما أقل بركة مالٍ وقعت فيه أيدى النَهَّابين، فهكذا والله عمر الغافل منهوب.

---

(٢) أى: حلاوة منطق وكلام يقرِّب الناس من ربهم حتى وإن لم يتكلم فى الشريعة وإنما تكلم بكلام عادىً، وقد رأيت هذا بفضل الله تعالى.

(٣) فى المخطوط (قطعة)، والصحيح ما أثبته.

(٤) هكذا فى المخطوط.

مثل الدنيا كعجوز جذماء برصاء[١] سُتِرتْ بثوب حرير فـالمؤمن نافر ومنفِّر عنها لانكشافها له، وما لبس أحد لباساً أنتن من لباس الدعوى بأن يقول في المخاصمة: أنت لست[٢] مثلي وأنت لا[٣] يصـلح لـك أن تكلمني ومن أنت حتى أكلمك؟ فأول من هلك بذلك إبليس، فإيـاك وهـذا ولو كان أعرج أحدب[٤] فلا تحقره[٥] لحرمة لا إله إلا الله فـي قلبـه[٦]، وحسِّن ظنك بكل أحدٍ تفلح.

أتحسب أن حسن الخلق هو أن يكون الإنسان حسن المُتَلَقَّى، ومن أكرم الناس وضيع حقوق الله!! ليس هذا الحَسَن الخُلُـق، بـل لا يكـون محموداً بحُسْن الخُلُق حتى يكون قائماً بحقـوق الله، قائمـاً بأحكـام الله، مستسلماً لأمر الله، مجتنباً نواهيه، فمن منـع نفسـه معاصـي الله وأدى حقوق الله فقد حَسَّن خلقه[١].

---

(١) جذماء: من الجذام وهو مرض يتساقط منه اللحم ثم يسودّ، وبرصاء: أي من البرص وهو البهاق.

(٢) في المخطوط بغير لفظة (لست) وهو سهو من الناسخ إلا أن يكون قوله (أنت مثلي) بدون ليس إستفهام إنكاري الغرض منه التهكم والازدراء.

(٣) في المخطوط بغير (لا)، ويقال فيه ما قيل فيما سبق.

(٤) الأحدب: من يكون عنده انحناء في ظهره واضح.

(٥) في المخطوط (تحقر به)، والصحيح ما أثبته.

(٦) وفي الحديث: "بحسب امرىءٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم".

(١) وهذا ظاهر في أيامنا هذه فنجد الرجل منا يحسن مقابلة النـاس ومصـافحتهم ومقـابلتهم بالقول الجميل المعسول، فيقال: ما ألطف هذا الرجل، وما أظرف هذا الرجـل، ونجـده تاركـاً للصلاة أو فاعلا للمعاصي وربما الفواحش، وهذا لا يليق بمسلم.

ما سلط عليك ألسنة العباد إلا لترجع إليه. لا تزال لك قيمة عند الله حتى تعصى، فإذا عصيت فلا قيمة لك.

حقيقة التقوى

التقوى هى ترك معصية الله حيث لا يراك أحد[٢].

كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء قال: ((**الحمد لله الذى جعله عذباً بارداً برحمتك ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا**))[٣] وهو ﷺ مُقَدَّس عن الذنوب، ولكن تواضعاً منه وتعليماً، وكان يمكن أن يقول: "بذنوبكم". وما أكل ﷺ ولا شرب إلا ليعلمنا الأدب، وإلا فكان ﷺ يطعم ويسقى[٣]، فالعارف ينكس رأسه إذا شرب، وربما تقطر عينه ماءً ويقول: هذا تودد من الله.

كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه، منهم مالك بن أنس رضي الله عنه لأن الجماعة ربح، والربح بعد رأس المال[٤]. أتحسب السباع فى البرية؟ بل السباع[١] فى الأسواق والطريق، وهى التى تنهش القلوب نهشاً.

---

(٢) وقد ورد أن أناساً يعذبون فى الآخرة لأنهم كانوا إذا خلوا إلى محارم الله ارتكبوها.

(٣) الحديث.

(٣) وفى الحديث: ((أنا لست كهيئتكم إنما أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى)).

(٤) أى: إذا كان قد فقد منه رأس ماله فكيف يبحث عن ربحٍ، فلابد من أن يكون رأس مال جديد.

(١) فى المخطوط (الأسباع)، وهو سهو من الناسخ.

مثال من يستكثر من الذنوب والاستغفار كمن يستكثر شرب السم ويكثر الترياق، فيقال له: قد لا تصل إلى الترياق مرة فيهجم عليك الموت قبل الوصول إليه.

من مرض قلبه مُنِع أن يلبس لباس التقوى، فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة لحملت أثقال التقوى، فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة، وقد سمَّى الله الشهوة مرضاً بقوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢] ولك في علاجه طريقان: استعمال ما هو لك نافع وهو الطاعة، واجتناب ما هو لك مضر وهو المعصية، فإن فعلت ذنباً وأعقبته التوبة والندم والانكسار والإنابة كان سبب وصلتك به، وإن فعلت طاعة وأعقبتها العجب والكبر كان ذلك سبب القطيعة[٢] عنه.

عجباً لك، كيف تطلب صلاح قلبك وجوارحك تفعل ماشاءت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك؟! فمثالك كمن يتداوى بالسم، أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسواد، فعليك بالعُزلة والخلوة؛ فمن كانت العزلة له كانت العزة له؛ فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له بالمنن وعلا؛ منها كشف الغطاء[١]، وإحياء القلب، وتحقيق المحبة.

عليك بحسن العمل لا بكثرته، فمثال كثرة العمل مع عدم الحسن فيه كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن، ومثال قلة العمل مع الحسن فيه

(٢) في المخطوط (القطعة)، والصحيح المثبت.

(١) أي: كشف غطاء الجهل بالعلم، وكشف غطاء انطماس البصيرة بنورها، وكشف غطاء الغفلة باليقظة...

كالثياب القليلة الرفيعة الثمن، كالياقوتة، صغير جرْمها كبير ثمنها، فمن أشغل قلبه بالله وعالجه مما يطرأ عليه من الأهواء كان أفضل ممن يكثر الصوم والصلاة[٢].

مثال من صلى الصلاة بغيرِ حضور قلب كمن أهدى لملكٍ مائة صندوقٍ فارغة، فيستحق العقوبة من الملك، ومن صلاها بحضور القلب كمن أهدى إليه ياقوته تساوى ألف دينار، فإن الملك يذكره عليها دائماً.

إذا دخلت الصلاة فإنك تناجى الله وتكلم رسول الله ﷺ؛ لأنك تقول: السلام عليك أيها النبى، ولا يقال: "أيها الرجل" عند العرب إلا لمن يكون حاضراً[٣].

ركعتان بالليل

ركعتان بالليل خير من ألفٍ بالنهار، وأنت لا تصلى فيه ركعتين فتجد ذلك فى ميزانك، وهلى يُشْتَرَى العبد إلا للخدمة؟ هل رأيت عبداً يُشتَرَى ليأكل وينام؟ ما أنت إلا عبد اشتُرِيت، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

من لم يلزم نفسه لزمته. من لم يطالبها طالبته، فلو جعلت عليها الأثقال بالطاعة لما طالبتك بالمعصية ولما كنت تتفرغ لها[١]، هل رأيت

---

(٢) أى: مع عدم معالجة لقلبه من الأهواء.

(٣) فالمعنى: أن النبى ﷺ حاضر معك يسمع صلاتك عليه، وورد فى الحديث: ((من صلى علىَّ فإن الله يرد علىَّ روحى فأردَّ عليه السلام)) أو كما قال، وورد: ((تعرض علىَّ أعمالكم فما كان منها خيراً حمدت الله عليه، وما كان منها شراً استغفرت لكم)) بمعناه.

(١) أى: تتفرغ للمعصية وتترك الطاعة.

الصالحين والعباد يتفرجون فى الأعياد؟ من شغل نفسه فى المباحات والفرح[٢] شغل عن قيام الليل، فيقال: شغلت نفسك عنا فشغلناك عن عبادتنا.

ركعتان فى جوف الليل أثقل عليك من جبل أُحْد، فأعضاؤك يبست عن الطاعة، لا تصلح إلا للقطع؛ فإن الشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للنار.

من أحب الدنيا بقلبه كبناءٍ حسن بنى فوقه مرحاضا فرشح عليه، فلا يزال كذلك حتى يبقى ظاهره كباطنه[٣]، ومنهم من ينقيه، فلا يزال قلبه أبيض، وتنقيته بالتوبة والأذكار والندم والاستغفار، كذلك أنت فى حضرة الله ملوَّث بمعصيته تأكل المحرَّم وتنظر المحرَّم، فمن يفعل المخالفات والشهوات يظلم قلبه، فإن لم تتب فى وقت الصحة ربما ابتلاك بالأمراض والمِحَن حتى تخرج نقياً من الذنوب كالثوب إذا غسل، فاصقل مرآة قلبك بالخلوة والذكر حتى تتقى الله تعالى، وليكن ذكراً واحداً فتتبع لك الأنوار، ولا تكن[١] كمن يريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هنا وذراعاً هنا فلا ينبع له الماء أصلاً، بل احفر فى مكانٍ واحدٍ فينبع لك الماء.

يا عبد الله دينك هو رأس مالك فإن ضيعته ضيعت مالك، فاشغل لسانك بذكره، وقلبك بمحبته[٢]، وجوارحك بخدمته، واحرث وجودك

---

(٢) فى المخطوط (والفرج) بالجيم المعجمة، والصحيح بالحاء المهملة.

(٣) لأن الدنيا حينئذ هى المرحاض الذى جثم على القلب واستولى عليه، فكان كالبناء فوقه.

(١) فى المخطوط (تكون). والصحيح (تكن) لأنه نهى فيجزم بحذف العلة.

(٢) فى المخطوط (بمحنته) بالنون والتاء المثناة، والصحيح (بمحبته) بالباء بدل النون.

بالمخاوف حتى يجيء البذر فينبت، ومن عمل فى قلبه كما يعمل الفلاح فى أرضه أنار قلبه[٣].

مثالك مثال رجلين اشتريا أرضاً قياساً واحداً[٤] فأخذها واحد[٥] فنقاها من الشوك والحشيش وأجرى فيها الماء وبذرها؛ فنبتت فجنى منها وانتفع بها، فهكذا كمن نشأ فى الطاعة فقد أشرقت أنوار قلبه، وأما الآخر فإنه أهملها حتى نبت فيها الشوك والحشيش وبقيت الأفاعى والحيات، هذا قد أظلم قلبه بالمعاصى.

إذا حضرت المجالس وخرجت إلى المخالفات والغفلات فإياك تقول: ماذا يفيد حضورى؟ بل احضر، يكون بك مرض أربعين سنة تريد أن يذهب عنك فى ساعة أو فى يومٍ واحدٍ؟! فمثالك كزبلٍ رُمِى فى موضعٍ أربعين سنةً أفتريد أن يزول فى ساعة، فمن فعل المعاصى وتقلب فى المحارم لو انغمس فى سبعة أبحرٍ لم تطهره حتى يعقد مع الله عَقْد التوبة.

للظاهر جنابة تمنعك من دخول بيته وتلاوة كتابه، وللباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته وفهم كلامه وهى الغفلة.

---

(٣) أى: يحرث أرض قلبه فيبحث فيها عن العيوب والشوائب والنفاق وسوء الأخلاق فيصلحه مستعينا بربه على ذلك.

(٤) أى: مساحتهما واحدة.

(٥) فى المخطوط (الواحد) بأل التعريف، والأولى حذفها.

إذا طابت النفس للشهوات فألجمها بلجام الشرع، فمثالها كالدابة إذا مالت لزرع غيرك، فغضَّ البصر عن ميلها[١] إلى المستحسنات، والقلب عن ميله إلى الشهوات، فليكن قلبك معموراً على الدوام، فالحق سبحانه اختار لحضرته من يصلح لها، ومُن لا يصلح رجاه للكائنات، فمثاله كالعبيد، يُعْرضون على الملك، فمن أخذه عز، ومن لم يصلح بقى للرعية. ما أتيتَ لموضع حكمة أو معصية إلا وفى عنقك سلسلة نورية أو مظلمة، فإن كنت لا تشهدها أنت فغيرك يشهدها، ألا ترى أن الشمس يراها الناس أجمعون إلا من كان أعمى؟ ما فائدة العلم إلا العمل به؟ مثاله كملكٍ كتب إلى نائبه بثَغْرٍ[٢] كتاباً، فما فائدة الكتاب أن يقرأه فقط؟ إنما فائدته العمل بما فيه.

البصيرة والتخبط

مثال من يشتغل بالعمل وليس له بصيرة كمثل مائة ألف عامٍ[٣] سلكوا طريقاً متحدين فيها، فلو كان منهم واحد بعين واحدة لتبعه الناس وتركوا مائة ألف أعمى[١]، ومثال العلم مع ترك العمل كالشمعة تضيء

---

(١) فى المخطوط (ميله) والظاهر كونها (ميلها) أى النفس.

(٢) الثَّغْر: موضع المخافة من البلدة الذى يخشى هجوم عدوٍ منه، فكذلك العلم يطالبنا بالنجاة من مواطن الخوف والهروب إلى الله تعالى.

(٣) قوله (عام) اسم فاعل من(عمى).

(١) وهذا يحدث فى أيامنا عندما يتبع الناس كثيراً من المتصدرين للدعوة بغير علم لكون ظاهرهم أنهم يصلون كثيراً أو يحضرون الجماعة فى المسجد أو يطيلون الأذقان واللحى فيغتر بهم الناس فيسألون فى مسائل الفقه والشريعة والحلال والحرام فيفتونهم عن جهل فيضلونهم بغير علم. فليحذر القارئ الكريم من مثل هذا.

لغيرها باحتراق نفسها، علمٌ فيه العقل عن الله الجهلُ خيرٌ منه، فمن أثمرت جوارحه فقد أمطر عليه لسانه بالذكر، وعيناه بالغضِّ وأذناه بالاستماع إلى العلم، ويداه ورجلاه إلى الإسراع بالخيرات.

منْ أكثر من مجالسة أهل هذا الزمان فقد تعرض لمعصية الله تعالى، مثاله كمن جعل الحطب اليابس فى النار ويريد ألا يشتعل، فقد أراد مُحالاً؛ لأنه قد ورد: ((**خص بالبلاء من عرفته الناس، وعاش فيهم من لا يعرفهم**)).

فربما جالست غير متقٍ فكنت أنت متقياً فَجَرَّك إلى الغيبة وقهرك فى نفسك. ما خرَّب القلوب إلا قلة الخوف، فالقلب هو الذى لا يشغله عن الله حسنٌ[٣] إن أردت شفاء قلبك فاخرج إلى صحراء التوبة، وحوّل حالك من الغفلة إلى الحضور، والبس ثياب الذل والمسكنة؛ فإن قلبك يشفى ولكنك تحشو بطنك وتتفاخر بالسِّمَن[٤]، فمثلك كالخروف الذى يسمن للذبح، ألا قد ذبحتك نفسك وأنت لا تشعر.

لا يَفُتْك مجلس الحكمة ولو كنت على معصيةٍ، فتقول: ما الفائدة فى سماع المجلس ولا أقدر على ترك المعصية؟ بل على الرامى أن يرمى، فإن لم يأخذ اليوم يأخذ غداً[١]، لو كنت كيِّساً فطناً لكانت حقوق الله عندك أحظى من حظوظ نفسك. ما يطلع على الأسرار إلا أمين،

---

(٣) هكذا فى المخطوط. ولعل فيه تصحيفا.

(٤) وفى الحديث: ((بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)) والبطن شر وعاء قد امتلأ. وفى الحديث: ((إن الله لا يحب الحبر السمين)).

(١) تكرر هذا الكلام أثناء المخطوط قبل ذلك.

الله عندك أحظى من حظوظ نفسك. ما يطلع على الأسرار إلا أمين، وأنت تعطى نفسك حظها من المآكل والمشارب حتى تملأ بيت الخلاء، ويكفيك حب الدنيا، ومن أحب الدنيا فقد خان ومن خان هل يطلعه الملك على أسراره؟ فاستعمل الأذكار وعليه تنزل الأنوار، وما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها حيرانٌ فكرةً.

كيف يشرق قلبٌ صور الأكوان منطبعةٌ فى مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبلٌ بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرته وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟ أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها(٢).

لا ترحل من كون إلى كون فتكون الرَّحى يسير والذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه(٣)، ولكن ارحل من الكون إلى المكوِّن ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢] إنما الأنوار مطايا القلوب والأسرار، النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبداً أمده بجنوده الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار(١).

---

(٢) لأن مع المعصية والغفلة والرضا عن النفس يحصل به الركون إلى المعاصى والغفلة والثبات عليهما. وهذا من الإصرار. فيزداد الذنب حتى يصير كبيرةً بذلك مع عدم الإسراع بالتوبة. ومع عدم الرضا يتغير الإنسان من حال إلى أفضل. ويسارع لترك المعاصى حتى يترقى فى الكمال.

(٣) فالبهيمة عندما تدور فى الساقية مثلا تعود إلى نفس المكان الذى بدأت منه.

(١) الأغيار: جمع (غير) وهى: كل ما سوى الله تعالى.

النور له الكشف[٢]، والبصيرة لها الحُكْم، والقلب له الإقبال والإدبار[٣].

الأكوان ظاهرها غِرَّة[٤]، وباطنها عِبْرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عِبْرتها.

متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به.

الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة يتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلَّل أعدادها[٥]، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها.

الناس يمدحونك بما يظنون فيك، فكن أنت ذاماً لها بما تعلم منها؛ فإن أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس[٦].

غيب نظر الخلق إليك ينظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك.

---

(٢) الكشف: الاطلاع على ما وراء الغيب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً - انظر [المعجم الصوفى - د/الحفنى].

(٣) لقوله ﷺ: ((استفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك)) أو كما قال ﷺ، فيقع فى القلب المنوَّر ما يجعله يقبل على الفعل أو يدبر عنه لما يحصل له من كشفٍ أو بصيرةٍ يطلع بها على ما وراء الأمور.

(٤) الغرة: بالغين المعجمة والراء المشددة هى الغفلة.

(٥) وفى حديث الإسراء قال سيدنا موسى لنبينا محمد ﷺ: ((سل الله أن يخفف الصلاة فإن أمتك لا تقوى على ذلك)). بمعناه.

(٦) لأن اليقين لا يدافع بالظن لأنه أقوى منه فى البرهان.

علم أن العباد يتشوقون إلى ظهور سر العناية[١] فقال تعالى: ﴿يختصّ برحمته من يشاء﴾ [آل عمران:٧٤] وعلم أن لو خلاّهم وذاك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل فقال تعالى: ﴿إنّ رحمتَ اللّه قريبٌ مّن المُحسنين﴾ [الأعراف:٥٦].

إن أورد ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك. إنما الصدقات للفقراء والمساكين. أنوار أذن لها فى الدخول، وأنوار أذن لها فى الوصول، ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشواً بصور الآثار[٢] فارتحلت من حيث نزلت. فرِّغْ قلبك من الأغيار تملأه من المعارف والأسرار.

المؤمن من يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً[٣]، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً.

جعلك الله فى العالم من ملكه وملكوته[٤] ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة انطوى عليها صَدَفُ مكنوناته.

أنت مع الأكوان مالم تشهد المكوِّن، فإذا شهدته كانت الأكوان معك[١].

---

(١) أى: إلى أن يعرفوا من الذى ينجو ومن الذى كتبت له السعادة فى الآخرة ولم يكن شقياً فيختم الله له بحسن الخاتمة، رزقنا الله إياها حتى ننجو بها وبرحمته وفضله آمين.

(٢) الآثار: هى الأكوان وكل ما سوى الله تعالى مما لا يوصل إليه.

(٣) فشكر الله والثناء عليه يضمحل فيهما الثناء على النفس لأن من أراد أن يثنى على نفسه فإنه فى الحقيقة يثنى على الله لأنه خلق الله وصنعه وتجلى فيه جماله وقهره، فالأولى أن يثنى عليه ابتداء وانتهاء ويدع الثناء على نفسه.

(٤) الملك: هو الأرضون وما فيها، والملكوت: هو السماء وما فيها.

العاقل من الناس

العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هو أفنى[٢]، قد أشرق نوره، وظهرت تباشيره، فصرف عن هذه الدار مغضباً، وأعرض عنها مولياً، فلم يتخذها وطناً، ولا جعلها سكناً[٣]، بل أنهض الهمة فيها إلى الله تعالى، وصار إليه مستعيناً به فى القدوم عليه، فما زالت مطيَّة عزمه لا [يقر قرارها][٤] دائماً [بتسيارها][٥] إلى أن ناخت بحضرة القدس وبساط الأنس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمكالمة، فصارت الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون وفيها يستوطنون، فإن نزلوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ[٦] فبالإذن والتمكن والرسوخ فى اليقين، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء[١] الأدب والغفلة، ولا إلى الحظوظ

---

(١) وفى الحديث القدسى: ((عبدى أطعنى تقل للشىء كن فيكون))، وفى الحديث: ((أطع الله فى مراده يطعك فى مرادك))، فيتحرك الكون تبعاً لإرادة الولى إذا صار إلى تلك الحال.

(٢) قال تعالى: ﴿فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ الآية.

(٣) قال بعضهم:

إن لله عباداً فُطنا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما وجدوا ... أنها ليست لأحد وطنا

تركوها لجةً فاستراحوا ... واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنا

(٤) ما بين المعكوفتين مطموس، وأثبته من المطبوع.

(٥) المثبت بين المعكوفتين من المطبوع، وفى المخطوط (سارها).

(٦) أى: المعاملة مع الخلق بأداء الحقوق والتواجد بينهم والظهور، وتناول المباحات أو غيرها للاستعانة على الطاعات، والله أعلم.

(١) سقطت الباء من الأصل.

بالشهوة والمتعة، بل دخلوا فى ذلك كله بالله، ولله، ومن الله، وإلـى الله، فإياك يا أخى أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله(٢)؛ فإن هؤلاء القوم جلسوا مـع الله علـى حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله، قد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه، تركوا الانتصار لنفوسهم حيـاءً مـن ربهم، فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب عنهم لمن غالبهم.

ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصاً أهل العلم والظاهر(٣)، فقلَّ أن تجد منهم مَنْ شرح الله صدره للتصديق بولىٍ معينٍ بل يقول لك: نعم، يُعلَم أن الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا يذكر له(٤) أحـدٌ إلا وأخذ يرفع خصوصية الله فيه، طلق اللسـان بالاحتجـاج، عاريـاً مـن التصديق، فاحذر مَنْ هذا وصفه، وفرَّ منه فرارك من الأسد.

قال الشيخ أبو العباس ﷺ: ليس الفقيه من انتفى الحجاب عن عينى قلبه إنما الفقيه من فهم سر الإيجاد، وأنه ما أوجده إلا لطاعته، وما خلقه إلا لخدمته، فإذا فهم هذا كان هذا الفقيه سبباً لزهده فى الدنيا وإقباله على

---

(٢) قال العلماء: إن العبد إذا وقع فى مقت الله – والعياذ بالله – صحبته الوقيعة فى أولياء الله، ولما قتل الحجاج سيدنا سعيد بن جبير، فقال له: أصلى ركعتين، فدعا عليه فيهمـا ألا يسـلطه على أحد بعده، فكان كما دعا ومات بعد بضعة أيام بسبب دعوة سيدنا سعيد، والنبى ﷺ يقـول فى الحديث القدسى: إن الله سبحانه يقول: ((من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب)).

(٣) وقد يقال: ولم ذلك؟ فأقول: لأنه ورد فى الحديث: ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) أو كما قال، فتعين أن يكون لهم– وهم ورثة– الأنبياء نصيب من البلاء رفعةً فى درجاتهم.

(٤) فى المخطوط (لهم).

الآخرة وإهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا في المعاد قائما بالاستعداد، قال رسول الله ﷺ: ((**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كلٍ خير**))[١]. المؤمن القوى هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين، قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [الواقعة:١٠-١١] سبقوا إلى الله فخلَّص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق[٢] ولم يشغلهم عن الله العلائق[٣] فسبقوا إلى الله؛ إذ لا مانع لهم وإنما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله، فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله أجذبها ذلك التعلق[٤] إلى ما به تعلقت فكرَّت راجعةً إليه ومقبلةً عليه، فالحضرة محرَّمةٌ على مَنْ هذا وصفه، وممنوعةٌ ممن هذا نعته.

القلب السليم

وافهم ههنا قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشيء دون الله، وقوله: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ [الأنعام:٩٤] يُفْهم منه أنه لا يصلح مجيئك إلى الله ولا الوصول إليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه[١]، وقوله

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى "صحيحه"، وغيره.

(٢) العوائق: ما يعوقهم عن الله.

(٣) العلائق: ما تتعلق به القلوب.

(٤) فى المخطوط: (التعليق)، والصحيح (التعلق) بدون ياء مثناة قبل القاف.

(١) لأنه لما جعل ذلك لنا فى الآخرة، فكان بطريق الأولى مطلوباً منا فى الدنيا.

تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:٦] يُفهم منه أيضا أنه لا يؤويك إليه إلا إذا صح يُتمك مما سواه، وقوله ﷺ: ((**إن الله يحب الوتر**))[٢] أي: يحب القلب الذى لا ينتفع بمثنَّيات[٣] الآثار، فكانت هذه القلوب لله وبالله، فهم أهل الحضرة الملحوظون بعينْ المنة، وكيف يمكنهم أن يكونوا إلى سواه مستندين وهم لوجود الأحدية مشاهدون؟

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ: قَوِىَ عَلَىَّ الشهودُ مرةً فسألته أن يستر عنى ذلك، فقيل لى لو سألته بما سأله به موسى كليمه، وعيسى روحه، ومحمد ﷺ صفيه لم يفعل[٤] ولكن اسأله أن يقويك، فسألته فقوانى.

فأهل الفهم عن الله توكلوا على الله فكان بمعونته لهم، فكفاهم ما أهمهم، وصرف عنهم ما أغمهم، واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علماً منهم[٥] بأنه لا يكلهم إلى غيره ومن فضله لا يمنعهم[٦]، فدخلوا فى الراحة ووقفوا[١] فى جنة التسليم ولذاذة التفويض، فرُفِع إليه بذلك مقدارهم، وكمّل أنوارهم.

---

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى "صحيحه" وغيره.

(٣) لأن الله واحدٌ فإذا جعلت فى القلب غيره صار فى القلب اثنان، والله أغنى الشركاء عن الشرك. والله أعلم.

(٤) لفظ (يفعل) غير موجود بالمخطوط، وأثبته من المطبوع لمعنى.

(٥) لفظ (منهم) مطموس فى المخطوط، والمثبت من المطبوع.

(٦) وفى الحكم العطائية: اشتغالك بما ضمن لك، وتركك لما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك، هذا معنى كلامه.

(١) لفظ (ووقفوا) منطمس فى الأصل، والمثبت من المخطوط.

واعلم – رحمك الله – أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم النافع الذي يقارنه الخشية وتكتنفه المخافة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] فبيَّن أن الخشية تلازم العلم، فالعلماء إنما هم أهل الخشية، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ [الإسراء:١٠٧] وقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] وقوله ﷺ: ((**العلماء ورثة الأنبياء**[٢])) إنما المراد بالعلم في هذه المواضع كلها العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس، وذلك متعين بالضرورة؛ لأن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أجلُّ من أن يُحمَل على غير هذا، والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله، ويُلْزِم الخشية من الله والوقوف على حدود الله، وهو علم بالمعرفة[٣] ولكن من استرسل مع إطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف في بحار الزندقة، ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداً وبالشريعة مقيداً، وكذلك المحقق فلا منطلقاً مع الحقيقة ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة، وكان بين ذلك قواماً[٤].

---

(٢) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه".

(٣) في المطبوع: (وهو علم المعرفة بالله).

(٤) التوحيد: هو معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد، وذلك بأن لا يحضر في شهوده غير الواحد جل جلاله، مع إسناد الأشياء إلى أسبابها، ولكن يعلم أن الفاعل الحقيقي هو الله. قال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فنفى الرمي عنه، وأثبته له، وجعل الرامي حقيقة هو الله. انظر [المعجم الصوفي – د/الحفني] مع زيادة.

الوقوف مع ظاهر الإسناد شرك[1]، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل[2]، ومقام الهداية فيما بين ذلك، وكل علم يسبق إليك فيه الخواطر ويتبعها الصور وتميل إليها النفس وتتلذذ بالطبيعة فارْم به وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعدهم وبالهداة الأئمة المبرئين من الهوى، وبمتابعته[3] تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وحسبك من العلم العلم بالوحدانية، ومن العلم محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة وإن أردت أن يكون لك نصيب من أولياء الله فعليك برفض الناس جملةً إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة أو بأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة، فارفع همتك إلى مولاك، واشتغل به دون غيره.

سمعت الشيخ أبا العباس ﷺ يقول: ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق.

واذكر - رحمك الله - قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] فمن العز الذى أعز الله به المؤمن رفع همته إلى مولاه وثقته به دون ما سواه، واستحيِ من الله أن تكون بعد أن كساك حُلّة الإيمان وزينك بزينة العرفان أن تستولى عليك الغفلة والنسيان

(١) أى: إسناد الشىء إلى فاعله دون النظر إلى أن الله خالق كل شىء ومن جملة ما خلق فعل الفاعل.

(٢) أى: إسناد الأشياء إلى الله مع نفى الأسباب التى خلقها الله.

(٣) الباء ساقطة من المخطوط.

حتى تميل إلى الأكوان، أو تطلب من غيره جوداً وإحساناً، وقبيح بالمؤمن أن يُنْزِل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهو يسمع قول الله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦] وليذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] التى عاقدته عليها ألا ترفع حوائجك إلا إليه، ولا تتوكل إلا عليه، ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقر ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن:٩] فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بكذبه، وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء، ليسوا بصادقين بإظهار ما كَنُّوا[١] من الرغبة وأسروا من الشهوة، فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا متباسطين لهم موافقين لهم على مآربهم مدفوعين على أبوابهم، فترى الواحد منهم يُزَيَّن كما تزين العروس مفتتنين بإصلاح ظواهرهم، غافلين عن إصلاح سرائرهم، ولقد وسمهم الحق بوسمة كَشَفَ بها عوراتهم[٢] وأظهر أخبارهم، فبعد أن كانت نسبته[٣] أن لو صدق مع الله أن يقال فيه "عبد الكبير" فأُخْرِجَ عن هذه النسبة بعدم صدقه، فصار يقال: "شيخ الأمير"، أولئك الكذابون على الله الصادون العباد عن صحبة أولياء الله؛ لأن ما يشهده العوام منهم يحلونه على كل منتسب إلى الله صادق وغير صادق، فهم حجب أهل التحقيق ونجب شموس أهل التوفيق، ضربوا طبولهم ولبسوا[١] دروعهم، ونشروا أعلامهم، فإذا

---

(١) قوله (كنُوا) أى ستروا.

(٢) لفظ (عوراتهم) مطموس فى المخطوط، والمثبت من المطبوع.

(٣) فى المخطوط (نسبية)، والأولى (نسبته) كما أثبته.

(١) فى المخطوط (كسبوا) والصحيح المثبت.

وقعت الحملة ولّوا على أعقابهم ناكصين، ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى، ألم يسمعوا قوله: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٨] أترى إذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال؟ ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ [التوبة:١٠٥] فهم في إظهار زى الصادقين، وعملهم عمل المعرضين، قال الله تعالى: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

باب الرزق مفتوح

فاعلم أن باب الرزق طاعة الرزاق، فكيف تطلب منه بمعصيته؟ أم كيف يُستَمْطَر فضلُه بمخالفته؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**لا ينال ما عند الله بالسخط**)) أي: لا تطلب رزقه إلا بالموافقة له، وقد قال الله تعالى مبيناً لذلك: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]؛ ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس المرسى ﷺ في حزبه لما قاله "وأعطنا كذا وكذا" قال: والرزق الهنيّ الذى لا حجاب به في الدنيا[٢]، ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه في الآخرة، على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة، قال: والطبع[١]، واحذر من التدبير مع الله تعالى.

---

(٢) أى: لا حجاب به عن الله ومعرفته وشهوده والسلوك إليه.

(١) أى: وسالما من آفة ما يمليه الطبع السيئ على صاحبه.

مثال المدبر مع الله تعالى كعبدٍ أرسله السيد إلى بلد ليصبغ لـه ثيابـا، فدخل العبد تلك البلدة فقال: أين أسكن؟ ومَـنْ أتـزوج؟ فاشـتغل بـذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره السيد به حتى دعاه إليه، فجـزاه من السيئة أن جزاءه القطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بأمر نفسه عن حق سيده؛ كذلك أنت أيها المؤمن أما أخرجك الحق إلى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك فيها بوجود التدبير منه لك، فإن اشتغلت بتـدبير نفسـك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الرَّدَى.

ومثال المدبر مع الله والذى لا يدبر كعبدين للملك أمـا أحـدهما فمشتغل بأوامر سيده لا يلتفت إلى مأكلٍ ولا ملابس، إنما همـه خدمـة السيد، فأشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه، والعبد الآخر كيفمـا طلبـه سيده وجده فى غسل ثيابه وسياسة مركوبه وتحسين زِيِّه، فالعبـد الأول أولى بإقبال السيد من العبد الثانى، والعبد إنما اشتُرِىَ للسـيد لا لنفسـه، كذلك العبد البصير الموفَّق لا تراه إلا مشغولاً بحقوق الله بموافقة أوامره عن محابِّ نفسه ومهماتها، فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه بكل أمره، وتوجه له بجزيل عطاياه لصدقه فى توكله **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُـوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق:٣] والغافل ليس كذلك، لا تجده إلا فى تحصـيل دنيـاه وفى الأشياء التى توصله إلى هواه، ومثال العبد مع الله فى هـذه الـدار كالطفل مع أمه، ولم تكن الأم لتدع ولدها من كفالتها ولا أن تخرجه مـن

رعايتها، كذلك المؤمن مع الله قائم ليس يحسن الكفاية، فهو سائق[١] إليه المنن، ودافع عنه المحن.

ومثال العبد فى الدنيا كمثل عبدٍ قال له السيد: اذهب إلى أرض كذا وأحكم أمرك لأن تسافر منها فى برية كذا وكذا، وخذ أُهْبَتَكَ[٢] وعدتك، فإذا أذن له السيد فى ذلك فمعلوم أنه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على إقامة بنيته ليسعى[٣] فى طلب العدة، وليقوم بوجود الأهبة، كذلك العبد مع الله، أوجده فى هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧] فمعلوم أنه إذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده واستعداده وتأهبه.

ومثال العبد مع الله كمثل أجير أتى به ملك إلى داره وأمره أن يعمل له عملاً، فما كان الملك ليأتى بالأجير ويستخدمه فى داره ويتركه من غير تغذية إذ هو أكرم من ذلك؛ كذلك العبد مع الله، فالدنيا دار الله، والأجير هو أنت، والعمل هو الطاعة، والآخرة هى الجنة، ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ولا يسوق لك به ما تستعين عليه.

ومثال العبد مع الله تعالى كمثل عبدٍ أمره الملك أن يقيم فى أرض كذا يحارب فيها العدو ويجاهد فيها، فمعلوم أنه إذا أمره بذلك أن يبيح له أن يأكل من مخازن تلك الأرض بالأمانة ليستعين بذلك على محاربة

---

(١) فى المخطوط (سابق) بالباء بدل الهمزة، والمثبت الصحيح.

(٢) الأهبة: هى الزاد.

(٣) لفظ (ليسعى) مطموس فى المخطوط، والمثبت من المطبوع.

العدو؛ وكذلك العباد أمرهم الحق سبحانه بمحاربة الشيطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] فلما أمر العبد بمحاربته أذن له أن يتناول من منته ما يستعين به على محاربة الشيطان؛ إذ لو تركت المأكل والمشارب لم يمكنك أن تقوم بطاعته، ولا أن تنهض لخدمته.

ومثال العبد مع الله كمثل ملك له عبيد، بنى داراً وحسنها وبهَّجَها وتولى غراستها، وكمَّل المشتهيات فيها فى غير الوطن الذى هم[١] فيه وهو يريد أن ينقلهم إليها، أترى إذا كانت عنايته بهم فيما ادخره لهم عنده وهيأه لهم بعد الرحلة، أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الأمر العظيم والفضل الجسيم؟ كذلك العباد مع الله، جعلهم فى الدنيا وهيأ لهم الجنة، فلا يريد أن يمنعهم من الدنيا، ولكن ما يقوم به وجودهم، فقال: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] وإذا ادخر لك الباقى ومَنَّ عليك به لا يمنعك الفانى، فإن منعك فإنما يمنعك ما لم يقسمه لك، ومالم يقسمه لك فيس لك.

ومثال المهتم[٢] بأمر دنياه الغافل عن التزود لأخراه كمثل إنسان هاجمه سبع وقد كان[٣] يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز من السبع، فهذا عبد أحمق فاقد وجود العقل، ولو كان

---

(١) فى المخطوط زيادة لفظ (العبيد) فى هذا الموضع، والصحيح حذفه.

(٢) فى المخطوط (المتهم) والصحيح (المهتم).

(٣) لعلها (كاد) بدل (كان)، فهو أصلح للمعنى.

بالعقل متصفا لشغله الأسد وصولته وهجومه عليه من الفكرة في الذباب، كذلك المهتم[١] بأمر دنياه عن التزود لأخراه دل ذلك منه على وجود حمقه، إذ لو كان فهماً عاقلاً لتأهب للدار الآخرة التي هو مسئول عنها وموقوف بها ولا يشتغل بأمر الرزق؛ فإن الاهتمام به بالنسبة إلى الآخرة كنسبة الذباب إلى مفاجأة الأسد هجومه[٢].

ومثال المدخر للأمانة[٣] كعبد الملك لا يرى أنه له مع سيده شيء لا يعتمد على ادخار ما في يده ولابذله، بل لا يختار إلا ما اختاره السيد له، فإذا فهم هذا العبد أن الإمساك مراد سيده أمسك لسيده لا لنفسه، كذلك أهل المعرفة بالله، إن بذلوا ففيه، وإن أمسكوا فله، يبتغون ما في رضاه ولا يريدون ببذلهم وإمساكهم إلا إياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء وأحرار كرماء، قد حررهم الحق من رق الآثار فلم يميلوا إليها بحب، ولا أقبلوا عليها بود، منعهم من ذلك ما أسكنه في قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده؛ فصارت الأشياء في أيديهم كهي في خزائن الله من قبل أن تصل إليهم علماً منهم بأن الله يملكهم ويملك مالكهم.

---

(١) كالموضع السابق.

(٢) قوله (مفاجأة الأسد هجومه)أي: أعني هجومه، فهو مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره أعني.

(٣) في المخطوط (بالأمانة) بالباء الموحدة بدل اللام، والصحيح باللام.

هذا بيان للناس وهدى

بيان للمغترين وهداية للمتبصرين: وهو أن من خرج من تدبيره لنفسه كان الله سبحانه المتولى بحسن التدبير له، والتدبير على قسمين: تدبير محمود، وتدبير مذموم.

فالتدبير المذموم: هو تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شيء، كالتدبير فى تحصيل معصية، أو فى حظ بوجود غفلة، أو طاعة بوجود رياء وسمعة، ونحو ذلك كله مذموم؛ لأنه إما موجب عقاباً أو موجب حجاباً، ومن عرف نعمة العقل استحيا من الله أن يصرف عقله إلى ما لا يوصله إلى قربه ولا يكون سبباً لوجود حبه، والعقل أفضل ما مَنَّ الله به على عباده؛ لأنه سبحانه خلق الموجودات وتفضل عليها بالإيجاد وبدوام الإمداد، فاشتركت الموجودات فى إيجاده وإمداده، فلما اشتركت أراد الحق سبحانه أن يميز الآدمى فأعطاه العقل وأيده وفضله بذلك على الحيوان كمّل به نعمته على الإنسان، وبالعقل ووفوره وإشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة[١]، فصرف نعمة العقل إلى تدبير الدنيا التى لا قدر لها عند الله كفراً[٢] به لنعمة العقل وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه فى معاده قياماً بشكر المحسن إليه، المفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى، فلا تصرِفْ عقلك الذى مَنَّ الله به عليك فى تدبير الدنيا [٣] فإن من غفل عن الله اشتغل بالحقير، ومن غفل

---

(١) فالعقل يحرك القلب ويحرك الجوارح للعمل والفهم والعمارة للأرض والقيام بالعبودية...

(٢) أى: سترا لنعمة العقل وذهولاً عنها ونسياناً لها.

(٣) هذا الموضع غير واضح بالمخطوط.

عنه[1] لم يشتغل إلا به ، فأحسن أحوالك ان تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة. فيا طالبا ما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا.

ما أقبح الخوف بالجندى، وما أقبح اللحن بالنحوى، وما أقبح طلب الدنيا ممن يظهر الزهد فيها.

ليس الرجل منيربيك لفظه. إنما الرجل من يربيكلحظه.

عن الشيخ أبو العباس المرسى – رضى الله عنه – أنه قال: إذا كانت السلحفاء تربى فراخها بالنظر أفما يربى الشيخ مريده بالنظر. لأن السلحفاء تبيض فى البر وتتوجه إلى جانب النهر وتنظر إلى بيضها؛ فيربيهم الله تعالى لها بنظرها إليهم.

إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه، ليس حبه فى حلاوة المآكل والمشارب؛ لأنه يشركك فيها الكافر والدابة بل شارك الملائكة فى حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى ؛ لأن الأرواح لا تحتمل وساوس النفوس، فإذا انغمست فى جيفة الدنيا لا تصلح للمفاخرة؛ لأن حضرة الله لا يدخلها المتلطخونبنجاسة المعصية، وطهر نفسك من العيب يفتح لك باب الغيب، وتب إلى الله تعالى وارجع إليه بالإنابة والذكر، ومن أدام قرع الباب يفتح له، ولولا الملاطفة ما قلنا ذلك؛ لأنه كما قالت رابعة: ومتى غلق هذا الباب حتى يفتح؟ ولكن هذا باب يوصلك إلى قربه، وإياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى، فأول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته، وما ذكره الذاكرون وفتح عليهم إلا باستحضارهم ذلك، وما

---

[1] أى عن الحقير فإنه أقرب مذكور فى الكلام.

طردوا إلا بذكرهم مع غلبة الذهول عليهم، وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين: البطن والفرج، ولا يضادك في الله إلا نفسك.

ما أكثر توددك للخلق وما أقل توددك للحق!! لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب. ركعتان في جوف الليل تودد. عيادتك المرضى تودد. صلاتك على جنازة تودد. الصدقة على المسكين تودد. ولكن السيف المطروح يحتاج إلى ساعد ، ولا عبادة أنفع لك من الذكر؛ لأنه يمكن للشيخ الكبير والمريض الذى لا يستطيع القيام والركوع والسجود.

واعلم أن العلماء والحكماء يعرفنك كيف تدخل على الله. هل رأيت مملوكا أول ما يشترى يصلح للخدمة؟ بل يعطى لمن يؤدبه ويعلمه الأدب، فإذا صلح وعرف الأدب قدمه للملك كذلك الأولياء – رضى الله عنهم – يصحبهم المريدون حتى يعرجوا بهم إلى الحضرة كالعوام إذا أراد أن يعلم الصبى العوم يحاذيه إلى لأن يصلح للعوم وحده، فإذا صلح زجه فى اللجة وتركه.

فائدة مباركة: وإياك أن تعتقد أنه لا ينتفع بالأنبياء والأولياء والصالحين فإنهم وسيلة جعلهم الله إليه لأن كل كرامة للولى – هى شهادة بصدق النبى – جرت على أيدى الأولياء مثل خرق العادةوالمشى على الماء والطيران فى الهواء وإخبار المغيبات ونبع الماء ونحو ذلك؛ لأنهم لم يعطوا ذلك إلا لأجلهم، ومثل ذلك أشهر من أن يذكر[1]، وكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين

---

[1] تكرر بعض الكلام السابق هنا فى أول الكتاب، ولكنه أعاده هنا لفوائد جديدة ومواعظ فريدة.

وجدت، وإنما ابتلاهم الحق بالفاقة فى أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبدلها لهم حينئذ؛ لأنهم لو أُعْطُوها قبل ذلك فلعلها كانت تؤخذ منهم[١]، فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين، وامتثلوا قول رب العالمين: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد:٧] فكانت الدنيا فى أيدى الصحابة لا فى قلوبهم، ويكفيك فى ذلك خروج عمر ﷺ عن نصف ماله، وخروج أبى بكر ﷺ عن ماله كله، وخروج عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن سبعمائة بعير موفورة الأحمال، وتجهيز عثمان بن عفان ﷺ جيش العسرة إلى غير ذلك من فعلهم وسَنِيِّ أحوالهم، فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم وإثبات محامدهم ومفاخرهم، فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة اللئام[٢] الغافلين، وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين - رضى الله عنهم أجمعين وجعلنا ممن اقتدى بهم .

---

(١) لعدم قيامهم حينئذ بواجبها، فإذا عرفهم واجبها أعطاها لهم.

(٢) فى المخطوط (اليوم). ولعل المثبت هو الصحيح الموافق للسياق والمعنى أيضاً.

فصل

يذكر فيه مناجاة الحق سبحانه لعبده عن هواتف الحقائق فى شأن تدبير الرزق

أيها العبد ألقِ سمعك وأنت شهيد يأتيك منى المزيد، وأصغ[٣] بسمعك فأنا عنك لست ببعيد، كنت بتدبيرى لك من قبل أن تكون بنفسك، فكن بنفسك بألا تكون لها، وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن على الرعاية لها.

أنا المنفرد بالخلق والتصوير، وأنا المنفرد بالحكم والتدبير، لم تشاركنى فى خلقى وتصويرى، فلا تشاركنى فى حكمى وتدبيرى، أنا المدبر لملكى وليس فيه ظهير[١]، وأنا المنفرد بحكمى ولا أحتاج إلى وزير.

أيها العبد من كان لك بتدبيره قبل الإيجاد فلا تنازعه فى المراد، ومن عودك حسن النظر منه فلا تقابله بالعناد. عودتك حسن النظر منى لك فعودنى إسقاط التدبير منك، أشكٌّ بعد وجود التجربة وحِيرة بعد وجود البيان، وضلال بعد وجود الهدى[٢]؟ وقد سلمت لى قيامى بمملكتى وأنت من مملكتى فلا تنازع ربوبيتى، ولا تضاد بتدبيرك مع وجود إلهيتى متى

---

(٣) فى المخطوط (واصنع) والصحيح المثبت.

(١) الظهير: المعين.

(٢) حكاية الاستفهام عن الله سبحانه وتعالى المقصود منه قرع الآذان بما يخرجها من ردى الأحوال. وليس المقصود منها حصول الجواب، فالله أعلم بكل شيء كيف كان ولو لم يكن كيف كان يكون.

أحوجتك إليك حتى تحتال عليك؟ ومتى وكلت شيئاً من مملكتى لغيرى حتى أكل ذلك إليك؟ متى خاب من كنت له مدبراً، ومتى خذل من كنت له منتصراً؟ أيها العبد، لتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى، وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى، لا ينبغى أن يتهم محسن، ولا أن ينازع مقتدر، ولا يضاد قهار، ولا أن يعترض على حكيم، ولا أن يُعَالَ همٌّ مع لطيف.

لقد فاز بالنجح من خرج عن الإرادة معى، ولقد دُلَّ على يسير الأمر من احتال على ولو استوجب النصر منى عبدٌ إذا تحرك تحرك[1] لى ولقد استمسك بأقوى الأسباب من استمسك بسببى.

أيها العبد نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا، ونختار لك أن تختارنا ولا تختار معنا، ونرضى لك أن ترضانا ولا ترضى سوانا، وكما سلمت لى تدبيرى فى أرضى وسمائى وانفرادى فيها بحكمى وقضائى سلم وجودك لى؛ فإنك لى، ولا تدبر معى؛ فإنك معى، واتخذنى وكيلاً، وثق بى كفيلاً أعطيك عطاءً جزيلاً وأهبك فخراً جليلاً.

ويحك إنا أجللنا قدرك أن نشغلك بأمر نفسك فلا تصغر قدرك يا من رفعناه، ولا تذل بحوالتك على غيرنا يا من أعززناه.

أيها العبد أنت أجل عندنا من أن نشغلك بغيرنا، لحضرتى خلقتك وإليها خطبتك، وبجواذب عنايتى لها جذبتك، فإن اشتغلت بنفسك حجبتك،

---

(١) لفظ (تحرك) الثانى ليس بالمخطوط وزيادته متحتمة.

وإن ابتعت هواها طردتك، وإن خرجت عنها قربتك، وإن توددت لى بإعراضك عما سواى أجبتك.

أيها العبد، ما برَّنى من نازعنى ولا وجدنى من دَبَّرَ معى، ولا رضى بى من شكا من أنزلت به إلى غيرى[٢] ولا اختارنى من اختار معى، ولا امتثل أمرى من لم يستلسم لقهرى، لو طلبت التدبير لنفسك جهلت، فكيف إذا دبَّرت لها؟ ولو اخترت معى ما أنصفت، فكيف إذا اخترت علىَّ؟ أيها العبد يكفيك من الجهل أن تسكن لَما فى يديك ولا تسكن لما فى يدى[١]، وأنا أختار لك أن تختارنى فتختار علىَّ، يا مهموماً بنفسك لو ألقيتها إلينا لاسترحت.

ويحك، أعباء التدبير لا يحمله إلا الربوبية وليس يقوى عليها ضعف البشرية.

ويحك، أنت محمول، فلا تكن حاملاً، أردنا راحتك فلا تكن متعباً لنفسك.

أيها العبد أمرتك بخدمتى وضمنت لك قسمتى، فأهملت ما أمرت، وشككت فيما ضمنت، ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت، وما اكتفيت بالقسم حتى مثَّلت[٢]، فخاطبت عباداً يفهمون فقلت ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

---

(٢) فى المخطوط (غير) بدون الياء.

(١) واليقين: أن تثق بما فى أيدى الله مما فى يد غيره.

(٢) أى: ذكرت لك مثالاً.

[الذاريات:٢٢-٢٣] وقد رزقت من غفل عنى وعصانى، فكيف لا أرزق من أطاعنى ودعانى؟

ويحك، الغارس للشجرة هو ساقيها، والممد للخليقة باريها، منى الإيجاد، وعلىّ دوام الإمداد منى كان الخلق، وعلىّ دوام الرزق، أندخلك دارى ونمنعك إبرارى؟ أنبرزك لكونى ونمنعك دوام عونى؟ نخرجك إلى وجودى ونمنعك جودى؟ لك هيأت منتى، وفيك أظهرت رحمتى، وما قنعت لك بالدنيا حتى ادخرت لك جنتى، وما اكتفيت لك بذلك حتى أتحفتك برؤيتى، فإذا كانت هكذا أفعالى فكيف تشك فى أفضالى؟ تَخَيَّرْنى ولا تختر علىَّ، ووجِّه قلبك بالصدق إلىَّ، فإن فعلتَ أَرَيْتُك غرائب لطفى وبدائع جودى، وأمتع سرك بشهودى.

لقد ظهرت الطريق لأهل التحقيق، وتبينت معالم الهدى لذوى التوفيق. سلَّمَ إلى الموقنون وببيانٍ توكل علىَّ المؤمنون، علموا أنى لهم خير من أنفسهم لأنفسهم، وأن تدبيرى لهم أحرى عليهم من تدبيرهم لها، فأذعنوا لربوبيتى مستسلمين، وطرحوا أنفسهم بين يدى مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحةً فى نفوسهم ونوراً فى عقولهم ومعرفة فى قلوبهم وتحقيقاً بقربى فى أسرارهم، هذا فىهذه الدار، ولهم عندى إذا قدموا علىَّ أن أُجلَّ منصبهم وأُعْلِى محلهم، ولهم إذا أدخلتهم دارى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أيها العبد الوقت الذى أنت مستقبله، لم أطالبك فيه بالخدمة فلا تطالبنى فيه بالقسمة[١]، فإذا كفلتك تكفلت لك، وإذا استخدمتك أطعمتك، واعلم أنى لا أنساك وإن نسيتنى وأنى[٢] ذكرتك قبل أن تذكرنى وأنّ رزقى عليك دائم وإن عصيتنى، فإذا كنت لك كذلك فى إعراضك عنى فكيف ترى أن أكون لك فى إقبالك علىّ؟ ما قدرتنى حق قدرى إن لم تستسلم لقهرى، ولا رعيت حق برِّى إن لم تمتثل لأَمرى، فلا تعرض فإنك لا تجد من تستبدله منى، ولا تغتر بغيرى، فإن أحداً لا يغنيك عنى، أنا الخالق لك بقدرتى، أنا الباسط لك منتى، فكما أنه لا خالق غيرى فكذلك لا رازق غيرى، لا أخلق وأحيل على غيرى وأنا المتفضل وأمنع العباد وجود خيرى، فثق أيها العبد بى فأنا رب العباد، واخرج عن مرادك لى أبلغك عين المراد واذكر سوابق لطفى ولا تنس حق الوداد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أى: أن العبادة لا يطالب بها الإنسان وامتثال الأوامر والنواهى لا يطالب به الإنسان إلا إذا حصل مُوجب الامتثال ووقته، فكذلك لا تطلب الرزق قبل أوانه.

(٢) فى المخطوط (أن)، والمثبت الصحيح.

مناجاته - رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة قراره[١]

إلهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيراً فى فقرى؟! وأنا الجهول فى علمى فكيف لا أكون جهولاً فى جهلى؟!

إلهى منى ما يليق بلومى، وُمنك ما يليق بكرمك، إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة علىَّ، وإن ظهرت المساوئ فبعدلك ولك الحجة علىّ.

إلهى كيف تكلنى وقد توكلت عليك؟![٢] وكيف أضام وأنت الناصر لى؟! أم كيف أخيب وأنت الحَفى بى؟! ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك، وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل إليك؟! أم كيف أشكو إليك حالى وهو لا يخفى عليك؟! أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك؟!

إلهى ما ألطفك بى مع عظم جهلى! وما أرحمك بى مع قبيح فعلى! ما أقربك منى وما أبعدنى عنك! وما أرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك؟

إلهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك، وكلما أيأستنى أوصافى أطمعتنى منتك، إلهى من كانت محاسنه مساوئ فكيف لا تكون مساوئه مساوئ؟! ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى؟!

إلهى كيف أعزم وأنت القاهر؟! وكيف لا أعزم وأنت الآمر؟! ترددى فى الآثار يوجب بُعْدَ المزار؛ فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك، كيف يُستَدَلّ عليك بما فى وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من

---

(١) فى المخطوط (قراه) والصحيح المثبت.

(٢) فى المخطوط (لى) والظاهر المثبت تبعاً لما فى المطبوع أيضاً.

الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلني عليك؟! ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟!

إلهى عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

إلهى هذا ذلى ظاهر بين يديك، وهذا حالى لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فاهدنى بنورك إليك، وأقمنى بصدق العبودية بين يديك.

إلهى علمنى من علمك المخزون، وصنى بسر اسمك المصون، وحققنى بحقائق أهل القرب، واسلك لى مسالك أهل الجذب، واغننى بتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وأوقفنى على مراكز اضطرارى، وأخرجنى من ذل نفسى، وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رَمْسِى[١]، بك أستنصر فانصرنى، وعليك أتوكل فلا تكلنى، وإياك أسأل فلا تحرمنى، وفى فضلك أرغب فلا تخيبنى، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى، وببابك أقف فلا تطردنى.

إلهى إن القضاء والقدر غلبنى، وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتَنْصُرَ بى، وأغننى بفضلك عن طلبى، أنت الذى أشرقتَ الأنوار فى قلوب أوليائك، وأنت الذى أزلت الأغيار من قلوب أحبابك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت

(١) الرَمْس: بفتح وتشديد فسكون هو تراب القبر، والمقصود القبر نفسه.

الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك؟! وما الذى فقد من وجدك؟! ولقد خاب من رضى بدونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحولا، كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟! وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان، يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متحلقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجُّه العابدين، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب لنا ثم أنت لما وهبت لنا من المستقرضين[١] فاطلبنى برحمتك حتى أصل إليك، واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك.

إلهى إنّ رجائى لا ينقطع عنك وإنْ عصيتك[٢]، كما أن خوفى لا يزايلنى[٣] وإن أطعتك، قد دفعتنى العوالم إليك، وقد أوقفنى علمى بكرمك عليك فكيف أخيب وأنت أملى؟! أم كيف أهان وعليك مُتَّكَلِى؟! كيف أستعز وفى الذلة أركزتنى؟! أم كيف لا أستعز وإليك قد نسبتنى[١]؟! كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر قد أقمتنى؟! أم كيف أفتقر وأنت الذى

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ وهذا منتهى الكرم والعطاء والمن.

(٢) ومن كلامه فى الحكم: نقصان الرجاء عند وجود الزلل عنوان الاعتماد على العمل.

(٣) قوله (يزايلنى) أى: يفارقنى.

(١) قال بعضهم:

ومما زادنى شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصىَ أطأ الثريَا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيَّرت أحمد لى نبيًا

بجودك أغنيتني؟! أنت الذى لا إله غيرك، تعرَّفْتَ لكل شيء فما جهلك شيء، وأنت تعرفت إليَّ فى كل شيء فرأيتك ظاهراً فى كل شيء، فأنت الظاهر بكل شيء، يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته، كما صارت العوالم غيباً فى عرشه، محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجَلى بكمال بهائه فتحققت بعظمته(٢) الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر؟! أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟!

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب هذا آخر كتاب "تاج العروس" لابن عطاء الله السكندرى ﷺ ورحمنا به فى الدنيا والآخرة آمين.

قام بالتحقيق

مكتب الروضة الشريفة

للأبحاث الشرعية واللغوية

وتحقيق التراث والتصحيح والمراجعة

القاهرة – مصر

ت: ٥٤٥٩٧٥٠ – محمول: ٠١٠٩١٢١٩٥٠

---

(٢) الباء غير موجوده بالمخطوط.

فهرس الموضوعات